ن والقلم وما يسطرون
مركز الإمام الصادق عليه السلام
للدراسات والبحوث الإسلامية التخصصية

الأمراض المعنويَّة

في المشروع الرِّسالي

عرض وتحليل وعلاج

الشيخ

ميثم طالب الفريجي

هوية الكتاب

اسم الكتاب: . ..... الأمراض المعنويَّة في المشروع الرِّسالي

المؤلف : ..... الشيخ ميثم طالب الفريجي

الناشر:..... مركز الإمام الصادق عليه السلام للدراسات والبحوث الإسلامية التخصصية

الطبعة: ..... الاولى

السنة:..... ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

العراق/ النجف الاشرف – شارع المدينة – مقابل جامع الجوهرجي

الموقع الرسمي: http: // imam-sadiq-c. com

البريد الالكتروني: center. alsadiq@gmail. com

ادارة المركز: ٠٧٧٠٩٩٤٧٤٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب....

نظرٌ وتأمّل وتدبّر في آيات القرآن الكريم، وسننه المباركة، لإستلهام العِبر والدروس المستفادة من تجارب الأنبياء والرسل مع أممهم وأقوامهم، لنستكشف أهم الأمراض المعنوية التي تنخر في جسد المشروع الإسلامي الرسالي.

نستعرضها ونحلّلها ونضع العلاج لها

بإذن الله تعالى وحسن توفيقه

مقدمة المركز

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ذِي النِعم، بارئُ اللوح والقلم. والصلاة والسلام على سيد العُرب والعجم، ومنقذ الناس من ويلات الحِمم، سيدنا المصطفى محمد وعلى آل بيته الاطهار القمم. وبعد...

مركز الإمام الصادق (عليه السلام) للدراسات والبحوث الإسلامية التخصصية، هو أحد مشاريع المرجعية الدينية في النجف الاشرف، والذي يعمل على رفد الوسط الإسلامي، والبعد العالمي، بالصورة الصحيحة عن الإسلام، الذي كانت ولازالت رسالته الرحمة للعالمين، انطلاقا من قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٠٧].

وتتركز رسالتنا على نشر العلم والمعرفة، وتصحيح الرؤى والمفاهيم الدينية، نستفيد في ذلك من عمق التجربة الدينية في حوزة النجف الاشرف التي تمثل النمرقة الوسطى بين التيارات الدينية المنتشرة في ارجاء المعمورة، ملتزمون في عملنا بالقيم الأخلاقية، والمبادي الإنسانية، والمثل العليا التي أرادها الله تعالى لعباده، وضمن لهم الكرامة والعزة حال صونها والأخذ بها: كالرحمة والعدالة والمحبة والاحترام المتبادل والحوار الحضاري والتعايش بسلام طبقا لقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

(عليه السلام): (الناس صنفان امّا أخ لك في الدين أو نظيرُ لك في الخلق). وهدفنا في كل ذلك

١.كشف الوجه الناصع للإسلام الذي يحاول أعداء الإنسانية اليوم طمسه وإظهاره بمظهر لا يمت له بصلة.

٢.التواصل العلمي والمعرفي، والتلاقح الفكري الحضاري، والحوار البنّاء، مع مختلف الشعوب والثقافات.

٣.تشجيع الباحثين والمفكرين، وتقديم يد العون أليهم من خلال رفدهم بما يسهل مهامهم البحثية، او طبع نتاجاتهم الفكرية.

٤. رفع المستوى الثقافي للمجتمع من خلال الدورات والندوات والنشرات والمجلات وغيرها من أدوات نشر الثقافة.

وبعد اتضاح الطريق تسارعت الخطى من اجل منهجة العمل وتوجيهه نحو التخصصات العلمية التي لها الدور الفعال في تحقيق هذه الأهداف، فاتكأ المركز على مجموعة من الأقسام وهي: قسم الدراسات القرآنية ـ قسم الدراسات العقدية والفكرية ـ قسم الدراسات التخصّصية في الامام المهدي (عليه السلام) ـ قسم الفقه الإسلامي ـ قسم الحديث والدراسات في نهج البلاغة ـ قسم الفقه الاجتماعي ـ قسم الدراسات التاريخية.

وأبواب المركز وامكانياته مُشرّعة أمام كل الباحثين، والمركز منفتح على كل الجهات التي من همها التواصل العلمي والمعرفي لخدمة الإنسانية وبلورة المنحى الإنساني والعلمي للأديان.

وآخر دعوانا آن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

مركـــز الإمـــام الصـــــــادق (عليه السلام)

للدراسات والبحوث الإسلامية التخصصية

النجـــــــف الاشـــــــرف

توطئة:

أشارَ القرآن الكريم إلى الكثير من الأمراض المعنوية التي صادفت حركة الأنبياء والرسل مع أقوامهم، بل مع أصحابهم والمقرَّبين من مشروعهم، وهذا هو واقعنا الذي نعيشه الآن والذي عاشه من قبلنا الأولياء والصَّالحون والأنبياء والرسل والأئمة (عليهم أفضل الصَّلاة والسَّلام).

وقد أفرز الواقع عن وجود أمراض معنوية تبرز بين حين وآخر في جسد المشروع الرِّسالي المبارك على مستوى الأفراد، وعلى مستوى الجماعات، فلا بدَّ أن نمرَّ بهذا العنوان؛ لكي نستقرىء ونستنطق القرآن الكريم بِمَ يُعلّمنا ويعظنا ويرشدنا من هذه الدروس؟

وكيف نستلهم من خط الأنبياء والرسل معالجتهم لهكذا أمراض؟

وكيف كانت ردود الأفعال؟ وماهي تلك الأمراض؛ كي نجنّب أنفسنا من الوقوع بها؟

وكما يبتلي جسد الأنسان بالأمراض المتنوِّعة، والتي تكون بحاجة إلى العلاج، لذا يسعى الإنسان إلى علاجها بمراجعة الطبيب، ليُشخّص له المرض ويُعطيه الدواء النَّافع، ومن ثم تحصل بإذن الله تباركَ وتعالى حالة الشّفاء، فكذلك تبتلي النَّفس الأنسانية ببعض الأمراض المعنويَّة التي لَا تقف على حدود الفرد، بل تؤثِّر في جماعته ومشروعه.

ومن هنا علينا أن نسعى إلى تشخيص تلك الأمراض، وطلب العلاج الشَّافي لها، وذلك بالإستعانة بالقرآن الكريم، وسيرة الأنبياء والرسل والمعصومين (عليهم السلام) لكي نقف في مأمن منها، ولكن تبقى هذه الأمراض المعنويَّة أشدّ خطرا على الإنسان من تلك الأمراض الجسدية ؛ لأنَّها قد تستهدف حياته الأخرويَّة، وهي الحياة الباقية التي يسعى الإنسان العاقل إلى إعمارها والفوز بها، بينما غاية ما تستهدف الأمراضُ الجسديَّة الجسدَ الفاني، فلا خلود له، والموت أمر محتوم لا مفرَّ منه، وهو مصيره.

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (٣)

(١) آل عمران:١٤.
(٢) الأنعام:٣٢.
(٣) الكهف:٤٦.

وقال: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ (٢) .

ومن هنا كان تشخيص هذه الأمراض المعنويَّة، والسعي إلى علاجها أهم بكثير من تشخيص الأمراض الجسديَّة والسعي إلى علاجها، ويستحق إتعاب النفس وجهادها، بل هو الجهاد الأكبر الذي أمر به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حادثة السَّرية التي رجعت من جهاد الأعداء.

ومنذ بداية الحركة الرِّسالية للأنبياء والرُّسل (عليهم السلام) أخذتْ الأمراض المعنويَّة حيِّزا واضحا في تلك المسيرة حيثُ يستعرض لنا القرآن الكريم نماذج منها من خلال قصصه التي قال فيها:

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (٣) ، وقوله تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ (٤)

(١) غافر:٣٩.
(٢) العنكبوت:٦٤.
(٣) آل عمران:٦٢.
(٤) يوسف:٣.

الفائدة من استعراض الأمراض المعنوية

والفائدة في إستعراض هذه الأمراض في المشروع الرسالي التي تجذَّرت في مسيرة المشروع الإلهي الذي يقوده الأنبياء والرُّسل واضحةٌ وجليَّةٌ، فإنَّ ذلك يمثِّل درسا بليغا للعاملين في سبيل الله تبارك وتعالى والمتحركين تجاه تحقيق الأهداف الإلهيَّة العظيمة من خلال مشروع رسالي هادف، وانَّها لبلاغٌ صريح لهم بإمكانيَّة الإصابة بمثل هذه الأمراض والعصمة لأهلها، ودعوة صريحة بضرورة التَّوقِّي منها، والعمل على درء مفاسدها ومضاعفاتها، وفي نفس الوقت ذلك تنبيه لهم بانَّ الإبتلاء بمثل هذه الأمراض والإصابات المعنويَّة لا تعني نهاية المسيرة، ولا تدعو إلى الإحباط واليأس، بل هي إفراز طبيعي لحالات الإحتكاك في العمل الإجتماعي، والعمل الرسالي الذي يكشف خفايا النَّفس، ويُظهرها على حقيقتها لذلك كان الجهاد بأزاءه جهادا أكبر بلحاظ المقدِّمات والنَّتائج كما أوضحنا في دروس سابقة.

وينبغي أن يكون المؤمن الرِّسالي يقظاً على طول المسيرة ملتفتاً إلى نفسه وخفاياها، فإن لمس فيها ما يُشكِّل مرضا معنويَّا بحسب المقاييس الشرعية، فلا ييأس ولا يحبط، وإنما يتعامل معه بحسب ما تستدعيه الحالة الموضوعية سواء في التَّوقِّي منه وإيقاف تمدُّده، أو إنعكاسه على جماعته ومشروعه، أو في بداية تشخيصه المُبكِّر ووضع العلاج والحلول وما شابه ذلك.

والقرآن الكريم يحكي لنا ذلك من خلال ما عاناه الرُّسل والأنبياء (عليهم السلام) في قصصهم التي هي عبرة لأولي الألباب، والتي بيَّنها الله تبارك وتعالى لنبيِّه الخاتم (صلى الله عليه وآله) ليُغذّيه من منهل تجاربها ومعاناتها، وليزيده معرفةً بما يُصيب المشروع الرِّسالي الإلهي والعاملين فيه، وانَّ ذلك من السُّنن الإلهيَّة التي أجراها الله تبارك وتعالى في خلقه.

قال تعالى: ﴿......لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (1) .

وخلاصة ما تقدم:

أوَّلا: أنّنا بصدد إستعراض تلك الإمراض المعنويَّة التي واجهها الأنبياء والرُّسل من مجتمعاتهم أفرادا وجماعات، بل ربما من أصحابهم والمحسوبين عليهم.

ثانيا: إنَّ هذه الأمراض إفراز طبيعي لحالة العمل الرِّسالي ومتغيِّرات الأحداث والمواجهة بين الحقِّ والباطل وهي مقتضى حكمة الله تبارك وتعالى في الإختبار والتمحيص وفقا لقوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (2) .

(١) الأنفال:٤٢.

(٢) آل عمران:١٤١.

ثالثا: مصدرنا ومنبعنا في ذلك هو القرآن الكريم بما يقصَّه من قصص الحق التي فيها عبرةٌ لأولي الألباب.

رابعا: لا يخفى فائدة هذا الإستعراض من كونه بلاغا للعاملين، وتحذيرا لهم من الوقوع في هذه الأمراض، والإتّقاء منها وتشخيصها مبكرا إن وقعت ليحسُن علاجها والقضاء عليها.

خامسا: عدم اليأس والقنوط، وإنَّما يتعامل مع هذه الأمراض المعنويَّة بحسب ما تقتضيه الحالة بالحكمة.

سادسا: يكفي أن نضع الإصبع على بعض الشَّواهد من هذه الأمراض التي مرَّت فيها مجتمعات الأنبياء والرُّسل ليتمَّ بذلك المطلوب ومن شاء التَّوسُّع، فيمكنه تكثير تلك الشَّواهد، ودراسة كل حالة على حده، ليخرج بأصول تلك الأمراض ولوازمها، وما يحسن العلاج بها.

المبحث الاول

ومن أخطر هذه الأمراض على المؤمن الرِّسالي وبالتَّالي على جماعته ومشروعه ما يلي:

المرض الأول: حبُّ الدُّنيا، والركون إليها، وجعلها الهدف الأسمى للمسير من حيث يعلم أو لا يعلم.

إنَّما الدنيا عبارة عما هو محسوس وملموس من مصاديقها كالمال والأولاد والزوجات والمساكن والتِّجارات والمزارع ومختلف الممتلكات، وما يُرافقها من نزوات كنزوة المِلك والجاه والتَّسلّط والإمرة ونحوها، والتي تكون أدوات للحصول عليها كشهوة البطن والفرج والمال وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[1].

(١) آل عمران:١٤.

وفي الحقيقة فانَّ مقتل الإنسان الرِّسالي الهادف في الرِّكون إلى الدنيا وزينتها؛ لأنَّه سيُضيِّع نفسه ومشروعه بأمور زائلة لا محال، فالإنسان قد يطلب الرَّاحة والدِّعة والسُّكون وبذلك يفقد جوهر الحركة والرساليَّة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [1] .

وكما جاء في التَّفاسير انَّ المراد بالطَّائفتين العِير والنَّفير، والعِير قافلة قريش التي كانت مقبلة ومليئة بالأموال والتِّجارات، وكان يقودها أبو سفيان ومَنْ معه، أمَّا النَّفير، فهم جيشَ قُريش، وكانوا زهاء ألف رجل بعدة وعدد، فهم قد طلبوا ومالوا إلى غير ذات الشَّوكة، وهي العِير التي تكون أقلُّ مؤونة وكلفة وعدة من النفير.

فقد يميل الإنسان الرِّسالي إلى حبِّ المال، قال تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [2] ، وقد يجنح إلى الحياة ولذَّتها، قال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ

(١) الأنفال:٧.
(٢) الفجر:٢٠.

أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾[1].

لذا ينبغي الحذر من الدنيا وزينتها، فمهما كانت برَّاقة وناصعة وجذَّابة، فلا ينبغي أن تكون هدفا للمؤمن الرِّسالي ؛ لأنَّ فيها الخطر الأكبر.

وقد ورد (**حبُّ الدنيا رأس كلِّ خطيئة**)[2]، فما من سقوط وانحراف وفشل في المشروع الرِّسالي إلاَّ للركون إلى الدنيا، لذا كانت من أوَّل ما عُصي الله به كما صحَّ عن الإمام الصَّادق (عليه السلام): (**إنَّ أوَّل ما عصي الله به ست حب الدنيا وحب الرئاسة وحب الطَّعام وحب النساء وحب النوم وحب الرَّاحة**)[3].

فالحذر الحذر من هذه الآفة الخطرة التي لا تُبقي ولا تذر، وهو الإبتلاء الأكبر في حياة النَّاس عموما وحياة المؤمن الرِّسالي خصوصا، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليٍّ (عليه السلام) ـ موصيا أهل الإيمان وناصحا لهم ـ قولُه: (**فإن الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها وابتلى فيها أهلها ليعلم أيُّهم أحسنُ عملا ولسنا للدنيا**

(١) البقرة:٩٦.

(٢) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني:ج٢، ص ١٣٠، المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ج٥، ص ٣٦٥

(٣) انظر ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٣، ص٣٩٥، ح٦٩٢٣

خُلِقنا ولا بالسعي فيها أُمِرنا وإنَّما وضعنا فيها لنبتلي بها...)[1].

ويقول (عليه السلام): (أُخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل ان تخرج منها أبدانكم ففيها أُختُبرتم ولغيرها خُلقتم)[2]، وهو (عليه السلام) يكرِّر ويقول: (يا دنيا يا دنيا إليك عني أبي تعرضت أم ألي تشوقت لا حان حينك هيهات غُرِّي غيري لا حاجة لي فيك قد طلَّقتك ثلاثا لا رجعة فيها...)[3]، وقد وَرَدَ عنه (عليه السلام): (فإنَّما مثل الدنيا مثل الحية ليِّنٌ مسُّها قاتلٌ سُمُّها)[4].

وهذا هو الحب السلبي للدُّنيا الذي نحذّر منه، والذي هو المرض، وفيه مقتل الإنسان الرِّسالي، والشَّواهد عليه في حياة الأئمة (عليهم السلام) كثيرة بدءً من أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكيف انَّ بعض أصحابه وعمَّاله يختار الدنيا ويلتحق بركب معاوية، إلى الإمام الحسن (عليه السلام)، وكيف بقائد جيشه والقيادي في مشروعه وأبن عمِّه يبيعه في مقابل الدنيا، ومرورا بالإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، وموقف أهل الدنيا مشهود فيها.

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبدة، ج٣، ص٤٧٩ من كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٤٧ من كلام له (عليه السلام) في التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٥٨
(٤) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٣، ص ٢٧٩، ح٦٢٢٣

وقبال ذلك يظهر من بعض الأدلة أنَّ الدنيا يمكن أن تكون مزرعة للآخرة، وبذلك يمكن ان تُقصد وتُحب ويكون حبُّها حبًّا إيجابيا، وقد عبَّر بعض الأئمة (عليهم السلام) بدقَّة عن هذه النظرة المتوازنة، والتي تجمع بين متطلَّبات الدنيا، ومتطلَّبات الآخرة عندما قال: (**إعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنَّك تموت غدا**)[1]، وقد حسم القرآن الكريم الموقف بإعطاء الرؤيا الواضحة من الحب الإيجابي للدنيا بقوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۞ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ

(١) قال الشيخ الصدوق: (وروي عن العالم...)، ولم يحدد عمن روي هذا الحديث ؛ أنظر من لا يحضره الفقيه: ج٣، ص ١٥٦، ح ٣٥٦٩، وروي في بعض المصادر عن الامام الحسن (عليه السلام)، أنظر كفاية الأثر للخزاز القمي، ص ٢٢٨، وروي أيضا مرسلا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أنظر: (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورام) ج٢ ص٥٣٣.

(٢) القصص:٧٧.

أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾[1].

وفي حديث آخر بينما كان علي(عليه السلام) في البصرة دخل على العلاء بن زياد الحارثي، وهو من أصحابه يعوده، فلما رأى سعةَ داره قال (عليه السلام):(ما كنت تصنع بسعة هذه الدَّار في الدنيا وأنت إليها في الآخرة كنت أحوج وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة تُقرىء فيها الضيف وتصل فيها الرحم و تُطلع منها الحقوق مطالعها فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة) فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد، قال (عليه السلام): وما له ؟ قال: لَبِسَ العباءة وتخلَّى عن الدنيا قال (عليه السلام): عليَّ به، فلمَّا جاء قال له (عليه السلام): ياعُديَّ نفسه لقد إستهام بك الخبيث أمَا رحمتَ أهلك و ولدك أ ترى الله أحلَّ لك الطّيبات وهو يكره أن تأخذها ؟ أنت أهون على الله من ذلك، قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك قال (عليه السلام): ويحك إنَّي لست كأنت، إنَّ الله تعالى فرض على أئمة العدل ان يُقدِّروا أنفسهم بِضَعَفَة الناس كي لا يتبيَّغَ بالفقير فقره)[2].

(١) الأعراف:٣١، ٣٢.

(٢) نهج البلاغة، ج٢، ص٣٥٠، ٣٥١ من كلام له (عليه السلام) بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من اصحابه يعوده فلما رأى سعة داره قال هذا الكلام.

فتبيّن لنا: أنَّ المذموم من الدنيا هو الجانب السلبي في أن يجعل الدنيا هدفا ينشده على حساب الآخرة والكمال فيها، فيكون الموقف الشَّرعي من الدنيا هو موقف الاعتدال والتَّوازن، فليترك الإنسان الحب السلبي لها، ولا يستغرق فيها على حساب الآخرة والسَّعي إليها، ولا يجعلها غاية همه ومنتهى علمه، وإنَّما يحبُّها حبًّا إيجابيا، فيأخذ نصيبه منها مادام يبتغي فيما أخذ الدار الآخرة، وهذا الموقف يمكن إستظهاره من خلال ملاحظة كل النصوص والآثار الواردة في موضوع الدنيا من حيث الذم والمدح وفي حديث عليٍّ (عليه السلام) مع عاصم بن زياد الكفاية الذي يؤسِّس لنا المنهج الصحيح، ولكن يبقى أمرٌ انَّه قد يتصدَّى المؤمن الرِّسالي إلى موقع قيادي متقدِّم في حياة الأمَّة والمشروع الإلهي، فيقتضي أن يترك بعض الجوانب، وإن كانت مُحلَّلة في ظاهرها ولا بأس بها كي لا يفتح باب الإتّهام للمنصب والموقع الشريف الذي يتزعَّمه صونا لعنوان هذا الموقع -كالمرجعية وموقعها في قلوب النَّاس -من اللبس والتُّهم، وبفضل الله تبارك وتعالى هذا هو المعروف عن المرجعية الدينية الشيعية منذ بداية الغيبة الكبرى إلى عهدنا هذا، وإلى ان يأذن الله تبارك وتعالى بالفرج لتنعم البشرية بلذة الظهور الميمون وتُملأ الأرض قسطا وعدلا ببركة وجود إمامنا المهدي (عجَّل الله فرجه الشَّريف).

وعوداً على بدء الحذر كل الحذر من الجنوح نحو الدنيا جنوحا سلبيا تضيع به جهود الفرد المؤمن الرِّسالي، ويؤثِّر على مشروعه وجماعته.

وينبغي أنْ يبقى المؤمن مراقباً لنفسه، ولا تخدعه الدنيا، ولا يسكن إليها، وما أروع ما تكلَّم به السَّيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس الله سره) حينما حذَّر طلبته ومريديه من الدنيا، وقال: (نحن نقول إنّنا أفضل من هارون الرشيد، أورع من هارون الرشيد، انقى من هاون الرشيد، عجبا؟! هل عرضت علينا دنيا هارون الرشيد فرفضناها حتى نكون أورع من هارون الرشيد، يا أولادي، يا إخواني، يا أعزائي، يا ابناء علي، هل عرضت علينا دنيا هارون الرشيد؟ لا، عرضت علينا دنيا هزيلة، محدودة، ضئيلة، دنيا ما أسرع ما تتفتت، ما أسرع ما تزول، دنيا لا يستطيع الإنسان أنْ يتمدّد فيها كما كان يتمدّد هارون الرشيد، هارون الرشيد يلتفت الى السحابه يقول لها: أينما تمطرين يأتي اليّ خراجك، في سبيل هذه الدنيا سجن الإمام موسى بن جعفر، هل جربنا أنّ هذه الدنيا تأتي بيدنا ثم لا نسجن موسى بن جعفر؟ جربنا أنفسنا، سألنا أنفسنا، طرحنا هذا السوال على أنفسنا كل واحد منّا يطرح هذا السؤال على نفسه بينه وبين الله إنَّ هذه الدنيا دنيا هارون الرشيد كلفته أن يسجن موسى بن جعفر، هل وضعت هذه الدنيا أمامنا لكي نفكّر بأننا أتقى من هارون الرشيد، ماهي دنيانا هي مسخ من الدنيا هي أوهام من الدنيا ليس فيها حقيقة الّا حقيقه رضا الله سبحانه وتعالى)[1]

(١) محاضرة المحنة وحب الدنيا، ص٨٩

المرض الثاني: الخروج والنكوص عن مبادىء المشروع الرسالي، وعدم الوفاء بها.

وهو حالة مرضية من نوع خطير قد تصيب الفرد تارة، وقد تصيب الجماعة تارة اخرى، وهذه الحالة المرضية ذات تأثير عميق على رصِّ الصّفوف والتَّكتُّل داخل المشروع الواحد، وقد تهتز بعض النُّفوس الضعيفة، فتنساق خلف ذلك الذي سقط من المسيرة المباركة للمشروع، وتتخلَّف عن الركب بالخروج والنكوص عن المبادىء الحقَّة للمشروع الإلهي.

وقد تزداد أهميَّة التركيز على هكذا أمراض عندما نعلم أن أشخاصا من نوع متميِّز داخل المشروع الرسالي وقعوا في هذا المرض، وأصيبوا فيه، بل ربما قيادات واضحة في خط المشروع الرِّسالي قد هوت فيه، ويُحدثنا القرآن الكريم في قصَّة من قصصه عن حالتين من هذا الخروج والنكوص على مستوى الأفراد، وهما:

الحالة الأولى: تركّز على موقف قارون حيث يُعبِّر القرآن الكريم بوضوح إنَّ قارون كان من أتباع موسى (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا

تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾[1]، فقارون كان مؤمنا وكان ثريًّا جدا بحيث انَّ مفاتيح كنوزه لتنوء بها العصبة أولو القوَّة، ولكن أخذه الزهو والغرور والفرح المفرط لما أعطاه الله تبارك وتعالى من المال والثروة، وأخذ يبغي ويتكبَّر على قومه بالتَّعالي والبذخ، فنصحه قومه بترك الإستعلاء عليهم، واتخاذ مسلك الإعتدال معهم، كما يُعبِّر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[2].

ولكن لم ينفع هذا النّصح، ولم ينفع هذا الكلام مع غروره وتكبُّره وخروجه عن الخط المتوازن حتى خسف الله تبارك وتعالى به وبداره الأرض، فبمجرد هذا الإختبار خرج ونكص عن مبادىء المشروع الإلهي، ولم يفِ بشيء منها بعد أن أنعم الله تبارك وتعالى عليه بالمال والثَّروة.

والقرآن الكريم يُلخِّص لنا القصَّة كاملةً ويُعطينا ما جرى على قارون الذي كان من أتباع موسى (عليه السلام) قال تعالى: ﴿ إِنَّ

(١) القصص: ٧٦.
(٢) القصص:٧٧.

قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ
مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ۞ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ
فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ
أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً
وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۞ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ
فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ
قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ
وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا
ٱلصَّٰبِرُونَ ۞ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ
يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ۞ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ
تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ
مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ
ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[1].

(١) القصص:٧٦ـ٨٢.

هذا من جهة ومن جهة أخرى نلاحظ أنَّ بقية أفراد المشروع الذين لم يتركَّز الإيمان في نفوسهم، وإنَّما كان الإيمان سطحيًّا فيها هي التي اهتزَّت ومالت وكادتْ ان تركن الى التعلق بالصورة التي كان عليها قارون، فهولاء وضعوا قدمهم في أوَّل طريق السقوط والنكوص والخروج عن مبدأ الحق لولا ان رحمة الله تداركتهم.

وينبغي على المؤمن الرِّسالي الحذر، وأن يكون في يقظة، ويكون ملتزما بمبادىء مشروعه، ولا يتكبَّر، ولا يبتهج بما أنعم الله تبارك وتعالى عليه، ويبقى صامدا وصادقا مع مشروعه وجماعته هذا من ناحية الفرد، وعلى المجموع أن يعي مشروعه، ويؤمن به ، فلا يهتز لسقوط فرد، بل أفراد ما دام مع الحق، وما أروع كلمة عليٍّ (عليه السلام) (**لا تستوحشنَّ طريق الحق لقلَّة سالكيه**)[1].

الحالة الثانية: ما يتعلَّق بالسَّامري صاحب العجل، وملخَّص قصته التي ملؤها الموعظة والعبرة كما يحكيها القرآن الكريم: أنَّ الله تعالى قد أمر موسى (عليه السلام) أن يسير إلى جبل الطور لمناجاته تعالى، فذهب مسرعا مشتاقا إلى لقاء محبوبه تبارك وتعالى، وقد خلّف أخاه هارون (عليه السلام) على قومه وأمرهم جميعا بطاعته، والإلتحاق به، والنزول عن أمره ونهيه إلاَّ انَّه ما أن غادر موسى (عليه السلام) قومه حتى بدأت فتنة السَّامري، والذي هو من قوم موسى

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ج٢، ٢٢٦ .

وأتباعه حيث خطَّط لصناعة عجل له خوار، وذلك من الحلي الذي إستعاره الإسرائيليُّون من نساء القبط ليتزينوا بها في يوم عيد لهم، وقد صمَّم العجل له خوار يدخل فيه الرِّيح، فيُخرج صوتا، وقال: هذا الهكم وإله موسى فاعبدوه وصدَّقه الإسرائيليُّون بما قال لهم على رغم من أن موسى (عليه السلام) وضَّح لهم ودلَّهم الطريق الصحيح ، وجرت الكرامات على يديه بينهم، ورغم نداء هارون لهم حيث أخذ بالنصح والهداية -بحدودٍ موصى بها هو- بالعدول عن هذا الباطل، والتوبة إلى الله تبارك وتعالى، ولكن رفضوا ذلك، وردُّوا عليه: ﴿ .... لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[1]، وحينما رجع موسى وسأل السامري عن سبب صناعة العجل فيُجيبه كما يُعبِّر القران ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾[2]، وقد تصدَّى موسى لحسم مادة الفساد، وحرق العجل وقذفه في رماده في البحر على أعيُن الملأ، وحكم على السَّامري بالنفي والإبعاد وعدم مخالطة أحد له حتى مات على هذه الصورة، وصار منبوذاً من جميع الناس والقرآن الكريم يحكي لنا هذه القصة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ

(١) طه:٩١.
(٢) طه:٩٦.

بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ۞ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ۞ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ۞ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۞ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ۞ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۞ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ۞ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ۞ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ۞ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۞ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ۞ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ

إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾[1].

ومنه يتَّضح كيف تخرج الجماعة بأسرها عن مبادىء المشروع، والهدف الإلهي، وتسقط في هاوية التيه؟

وما قوم موسى إلا شاهدٌ على ذلك، فقد ساروا في مشروع نبيِّهم، وجرت الكرامات على يده، وأنقذهم من بطش فرعون وجنوده، وبالآخرة يسقطون في الإبتلاء والإختبار، ويخرجون عن مبادىء مشروع موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

ولعلَّ هذا الأمر في سقوط الأفراد والجَّماعات، وخروجهم عن مبادىء مشروعهم الإلهي ليس بعزيز، ولا يقتصر على قوم موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وإنَّما جرى مع كلِّ الأنبياء، بل مع أوصيائهم، بل حتى مع خاتم الأنبياء وسيِّد الرُّسل محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فقد جرى الحال نفسه، والقرآن يُعبِّر عن هذه الحالة بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[2].

(١) طه:٨٥ –٩٧.

(٢) آل عمران:١٤٤.

وفي هذا الصَّدد يُجيب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما سأله أحد اليهود بقوله: (ما دفنتم نبيَّكم حتى إختلفتم فيه فردَّ عليه الإمام (عليه السلام) بقوله: إنَّما إختلفنا عنه لا فيه ولكنَّكم ما جفَّت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيِّكم إجعل لنا آلها فقال إنَّكم قومٌ تجهلون)[1].

ويستمر القرآن الكريم مبيِّنا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الحالات من الأمراض، والتَّساقط أفرادا وجماعات في مشروع الأنبياء والرُّسل؛ لكي تكون عبرة وموعظة لمن يريد ان يتذكر ويتعظ ويستفيد من تجارب الأمم والرُّسل السَّابقينَ.

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾[2]

وكما يكون ذلك في الأفراد كذلك يكون في الجماعات، وهذ ما يُلحظ في مجمل الحركات الإسلامية على إمتداد التأريخ، ولو بفترات متفاوتة، وكيف ينقلب وينكس الفرد عن معتقداته ومتبنَّياته وأهداف مشروعه بمجرد أن يتغير شي من الظروف أو تتبدَّل الأحوال من شدَّة إلى رخاء أو بالعكس أو حينما يتعرض ذلك الفرد إلى ضغوط أو يسعى وراء طموح شخصيٍّ معيَّن كالقيادة أو الجاه أو المنصب أو المصلحة ونحوها، فيسقط في الطَّريق، ويتخلف عن الركب الرِّسالي الهادف، وربما لا يكتفي

(١) أمالي االسيد المرتضى:ج ١ ص ١٩٨
(٢) طه:٩٩.

بالسقوط في نفسه فقط، وإنَّما يؤثّر على الجماعة، ويُزعزع تلك النفوس الضعيفة كما أكَّدنا. وربما يبدأ يُشرعن لنفسه بهدف تخطئة الجميع، فيأتي بأفكار ونظريَّات جديدة ويبدأ يؤسس لنفسه.

أين موقع أهل العلم من هذا الخروج والنكوص؟

ينبغي أن يكون أهل العلم والعلماء واعيين، وأن هذه الأمراض لا تقترب منهم، بل هم يُعلِّمون النَّاس أهدافَ المشروع، والناس ينجذبون إليهم حتى يسيروا في المشروع، ولكن الواقع يكشف لنا أن هناك قيادات في المشروع الرِّسالي، ممَّنْ تلبَّس بزي العلم قد وقع في هذا المرض، وقد خرج ونكص وانقلب ليس في نفسه، وإنَّما أثَّر على مَنْ أثَّر، بل بدأ يُشرعن لنفسه، ويُقنِّن حتى أصبح صاحب طريقة واتجاه ومن أمثلة ذلك:

١ - بلعم بن باعورا: وهو عالم معروف، ومَنْ يراجع روايات أهل البيت (عليهم السلام) يجد أن بعضها يشير إلى أنَّه حصل على مرتبة من العلم، ومَلَكَ بعض أحرف الإسم الأعظم[1]، ولكنَّه انحرف فهلك ونكص وخرج عن مشروعه حتى قال عنه القرآن: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ

(١) تفسير القمي ، علي بن ابراهيم ، ص ٢٣٠ ، وتفسير العياشي ،ج٢، ح٤٥ ، ح١١٨.

وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

٢ - علي بن حمزة البطائني: وهو قائد أبي بصير، وراوٍ لأصول أحاديث أصحابنا، معروف، حتى كانت بيوت الشيعة ملئى من كتبه، ومع ذلك إنحرف وزاغ وخرج ونكص وأنقلب عن مبادىء المشروع الإلهي الحق مع انَّه كان قريبا من المعصوم (عليه السلام)، وكان الأصحاب يأخذون منه الرواية مباشرة لكنه إنحرف، ولم ينفعه علمه عندها أصبح رأسا من رؤوس الواقفة فوقف على إمامة الإمام الكاظم (عليه السلام) ولم يعترف بإمامة الإمام الرضا (عليه السلام)، ولم يدفع الحقوق الشَّرعية والأموال التي في يده إلى صاحب الحق الشرعي حتى أنّه عندما أُنزل الى قبره ضُرِب ضربةً اشتعل قبره نارا[2]

٣ - إبن أبي العزاقر الشلغماني: وهو عالم من علمائنا في زمن الغيبة الصغرى كان يُشار له بالبنان، وكان قريبا من السفراء الأربعة، ومحلَّ إعتماد، بل كان يُظن أن يكون هو السفير حتى قال عنه الشيخ المفيد في الفصول العشرة في ترجمته محمد بن

(١) الأعراف:١٧٥، ١٧٦.

(٢) مناقب آل ابي طالب، ابن ىشهر آشوب، ج٣، ص٤٤٩ ،واختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي:ج٢، ص٧٤٣.

علي ابو العزاقر الشَّلغماني المتوفى سنة ٣٢٣ للهجرة: (كان متقدِّما في أصحابنا ومستقيم الطريقة فحمله الحسد لأبي القاسم الحسين بن روح على ترك المذهب والدُّخول في المذاهب الردية فظهرت منه مقالات منكرة وخرج في لعنه التوقيع من الناحية المقدَّسة)[١].

٤ -أحمد بن هلال العبرتائي الكرخي[٢]، وهو من أصحاب الإمام العسكري (عليه السلام) وكان من شأنه أنه كان قد حج أربعا وخمسين حجة، عشرون منها على قدميه، ولكنه لم يعترف بوكالة محمد بن عثمان وقصَّته معروفة.

ومن هنا يمكن أن نفهم جملةً من الأحاديث الواردة في هذا المعنى، وفي هذا الصدد ما ورد عنهم (عليهم السلام):(النَّاس كلهم هلكى إلاَّ العالمون والعالمون كلُّهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلُّهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم)[٣].

وعليه ينبغي لنا، ولكم الإلتفات في مسيرتنا وفي مشروعنا الرِّسالي الهادف لأن الواقع العملي يشهد بوقوع الكثير من هذه الحالات، ففي الوقت الذي نتحرك فيه على الجماهير لإقناعها بمشروع الإسلام، وأهداف القرآن، وأحقِّية التشريع الإلهي، ونبذل الجهد في ذلك ليلا ونهارا، لابدَّ لنا من إعداد طليعة مؤمنة

(١) الفصول العشرة، الشيخ المفيد: ص ١٦

(٢) رجال الكشي: ص ٣٧٩.

(٣) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ج١، ص١٦٨.

بمشروعها تمثَّل القوة الحقيقية والرصيد المهم لساعات النكوص والفتنة والخروج عن مبادىء المشروع، وهذه الطليعة هي الضمان، وصمَّام الأمان في معادلة الموقف، وليس المهم هو الكم والكثرة على حساب النوع والوعي، فالتَّربية الإيمانية السَّليمة، والإعداد الرِّسالي الصَّحيح وفقا لمنهج القرآن الكريم هو الذي يحسم الموقف في ساعات الصِّراع والمواجهة في داخل الخط مع أولئك الذين نكصوا وخرجوا المبدأ واستقلُّوا لانفسهم بما يدَّعون.

المرض الثالث: حب الزَّعامة والظهور والتَّميُّز:

هذه ظاهرة سلبية تكشف عن أمراض داخلية يُعانيها الفرد، وانَّه لم يصل إلى الحد الكافي من البناء الداخلي لمنظومة أخلاقه وآدابه في التعامل مع أبناء مشروعه، بل مع مشروعه، وبالتالي ستظهر عليه وان كانت تكمن في فترة من الفترات كذراع كامن في النفس، ولكن بأي مؤثِّر من المؤثِّرات -التي سنتكلم عنها- سوف يبرز هذا المرض، ويجنح نحو حب الزَّعامة والظهور والتميُّز، وبالتالي يكون هذا أكبر همه وهدفه حتى لو لم يكن بحساب دقيق وافٍ عقلائي ولا ديني، ولذا لا ينبغي أن تكون الطُّموحات الذَّاتية هي الأساس في الإنتماء والعمل في المشروع الإلهي، وإنَّما الأساس هو الخدمة، ، وآداء الوظيفة الشرعية والتكليف المناط بالفرد كيفما تطلَّب الموقف وفي جميع الظروف.

نعم، لابأس أن يكون في منصب من المناصب المعنوية والمادية، ويمكن أن يكون له طموح معيَّن بحيث لا يتنافى مع تقديم الخدمة، وإنّما نحن نحذِّر من أن يكون هدفه وطموحه بالعنوان الأوَّلي هو التميُّز والظهور والزَّعامة ونحوها، ولا مانع من التنافس الإيجابي بين أبناء المشروع، فهو يولِّد روح التَّسابق الصحي في العمل، والنماء داخل المشروع، وشحن الهمم للّحوق بالآخر، والوصول إلى مرتبته مع الحفاظ على الاخوَّة والتَّسامح

واحترام الآخرين داخل البناء الرِّسالي للمشروع الإلهي قال تعالى: ﴿ ....وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾[1].

كن عاملا ورقما في المشروع، وليكن لك طموح واع ومقبول، واترك الظروف هي التي تقدِّم لك الدُّور الذي تؤديه وكن مستعدا للعب كل الأدوار ما دُمتَ صادقا ومخلصا في الإنتماء وبمقدار ولائك وإخلاصك وإتقانك لعملك سوف تتقدَّم وتُناط بك مسؤوليَّات أخرى، وتكون قائدا في هذا المشروع الإلهي، ويطمح غيرُك ان يصل إلى رتبتك المعنويَّة، ويكون في معيَّتك، وهذا تنافس شريف ومقبول، وليس فيه جنوح لحب الزَّعامة والظهور والتَّميُّز حتى وإن صار - بالعارض -لك زعامة، فإنك لم تقصده ولم تهدفه، وإنَّما هذا هو حال العمل ونظم الأمر.

ولنا الأسوة بالأنبياء والرُّسل أولا وآخرا، ودون ذلك نتأسى بأصحابهم المخلصين الذين أخلصوا لمشروع الأنبياء والرُّسل، فتراهم يؤدُّون أدوارا مختلفة ومتعدِّدة، ولا تمثّل الزَّعامة لهم شيئا، بل هم زعماء وقادة بأخلاقهم وصفاتهم الحميدة وإخلاصهم، فلا يتقدَّم عليهم أحد مع انَّهم لم يهدفوا إلى الزَّعامة والقيادة والظهور والتَّميُّز، ولكنهم تميَّزوا وتزعَّموا

(١) المطفّفين:٢٦.

وظهروا بأخلاقهم وصفاتهم الحميدة وطاعتهم للأنبياء والرُّسل.

والأسمى من ذلك أن تؤدي ادوارك المتعدِّدة والمختلفة في المشروع الإلهي وأنت كالجندي المجهول لا تظهر لك زعامة أو منافسة، فإن هذا عند الله تبارك وتعالى كبير كما كان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) الخلَّص الواعون لمشروعم كسلمان وأبي ذر وعمَّار والمقداد ومالك وغيرهم، وكذلك أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام)، ويوم كربلاء خير شاهد ودليل على ذلك، فهم يتسابقون من أجل خدمة مشروعهم وإمامهم من دون أن يتميَّزوا في ذلك، فكلهم سواء كأسنان المشط، بل الواحد منهم يريد ان يخدم ويضحي ويعمل من دون ان يتميَّز بإسم أو عنوان، ولاشك انَّ أحدهم يتميَّز عن الآخر على البعد الديني والدنيوي، ولكنهم أصبحوا أمام إمامهم سيَّان، وكل يهدف إلى أن يؤدِّي دوره في هذا المشروع الرائد في معركة كربلاء الخالدة حتى يُسجِّل إسمه في سفر الإمام الحسين (عليه السلام)، وبذلك استحقُّوا تلك المراتب العظيمة حيث يقول الإمام الحسين (عليه السلام) في حقّهم: (اللهم إنّي لا أعرف أهل بيت أبر ولا أزكى من أهل بيتي، ولاَ أصحابا هم خيرٌ من أصحابي)[1].

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: المجلس الثلاثون، ص ٢٢٠

مناشيء وأسباب هذا المرض

توجد أسباب ومناشيء كثيرة تدفع بإتجاه الوقوع بهذا المرض، ولكن تبرز في الواقع العملي جملة منها:

أولاً: الرِّياء: وهو طلب المنزلة في قلوب الناس، وإراءة الناس حسن أفعاله وأقواله ليحضى بينهم بالقبول والمنزلة والرضا ويمتاز بالظهور الزَّعامة ونحوها، ولا يكون مراده في عمله وجه الله تبارك وتعالى ولا قصد ثوابه وإنَّما حتى يُرائي الناس قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[1]،

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[2].

ثانياً: التَّكبُّر والتَّعالي على الآخرين من إبناء مشروعه ولازم ذلك حب الظهور والزَّعامة والتَّميِّز، قال تعالى: ﴿ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾[1].

(١) البقرة:٢٦٤.

(٢) النساء:١٤٢.

ثالثا: الغرور والعُجب والتَّباهي بالنَّفس قال تعالى: ﴿ ...فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [٢] ، وقال تعالى: ﴿ .....إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [٣] .

رابعا: الحسد، وهو يدفع الإنسان إلى ان ينظر إلى غيره، ويريد أنْ يتقدَّم عليه، ويسلب تلك النِّعمة التي بيده، ويمارس حب التَّميُّز والظهور.

قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [٤]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ.... ﴾ [٥] .

وقبل كل هذه الأسباب والمناشيء هناك سببٌ رئيس وأساس في المسألة، وهوعدم الثقة بالنَّفس والإنهزام والإنكسار من الداخل، وإنهيار المنظومة الأخلاقية التي تنعكس بالإنفلات من قواعدها وبروز هذا المرض.

---

(١) النَّحل:٢٩.
(٢) لقمان:٣٣.
(٣) لقمان:١٨.
(٤) الفلق:٥.
(٥) النساء:٥٤.

المرض الرابع: ظاهرة التَّمرُّد على القيادة، والإجتهاد في العمل قبال توجيهاتها وأوامرها.

كثيرا ما تبتلى القيادات الدِّينية الرِّسالية بحالات التَّمرد، وعدم الإستجابة لقراراتها، وغالبا ما تسبب هذه المواقف إنتكاسات على كل المستويات الدينية والأخلاقية والإجتماعية والثقافية، بل حتى السياسية والعسكرية وغيرها. وإنَّ التَّمرُّد من جملة الأمراض العامة والمشتركة في مسيرة العاملين، والذي أُبتُليَّت بإنعكاساته حتى القيادات الرِّسالية المنصوص عليها إلهيًّا، والمتمثلة بالأنبياء والرُّسل والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، فقد واجهت هذه القيادات الإلهية مثل هذا التَّمرد من قبل أصحابها والحاملين لفكرها والمحسوبين عليها.

والقرآن الكريم يستعرض لنا العشرات من هذه الحالات والمعانات التي كانت تعانيها القيادات المعصومة في العمل والحراك، لنستفيد من دروسها وعِبرها وتكون لنا عِظةٌ ومنهجٌ واضحٌ للتعامل بشكل مزدوج معها، فمِن جهة نحذر أنْ لا نقع في هذا المرض، وأنْ لا ندع للتمرُّد في قلوبنا وعقولنا مقدارَ ذرَّةٍ ونعوِّد أنفُسنا ونُدربِّها على الطاعة والإمتثال ما دامت القيادة إلهية مأمورٌ بإطاعتها ومأمورٌ بالولاء إليها.

قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١).

ومِن جهة أخرى نتعلَّم السُّبل التي نواجه بها هذه الظَّاهرة إذا برزت من قبل أشخاص أو جماعات داخل المشروع الرِّسالي الهادف، وما وَرَدَ في سجلِّ حياة بني إسرائيل وموقفهم من أنبيائهم يعكس ظاهرة التَّمرُّد والعصيان بشكلٍ واضح ومتكرِّرمن نبي إلى آخر، فتارة تمرُّد على القيادة الأساس، وتارة تمرُّد على القيادة النَّائبة، فحينما إستخلف نبي الله موسى (عليه السلام) أخاه هارون (عليه السلام) على قومه، وأمرهم بطاعته، والإمتثال له حينما ذهب إلى مناجات ربِّه فنهاهم هارون عن عبادة العجل وحذَّرهم من مغبَّة إطاعتهم للسامري إلَّا أنَّهم لم يستمعوا إليه، وتمرَّدوا على توجيهاته، وأصرُّوا على الولوج في الفتنة والبقاء عليها حتى يرجع إليهم موسى (عليه السلام).

قال تعالى: ﴿ .....وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (٢).

(١) الأنفال:٤٦.

(٢) الأعراف:١٤٢.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ۞ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [1].

وهذا لون من ألوان الإبتلاء القيادي وصورةٌ من صور المعانات القيادية، وهو محنة القيادة النَّائبة وكم لها مثيل، بل غالبا ما تُبتلى القيادة النَّائبة المعصومة بذلك وخير شاهد ماجرى مع أمير المؤمنين عليٍّ (عليه السلام) بعد وفاة النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) رغم تكرار التَّوصية به وفي مختلف المحافل والمناسبات، وآخرها واقعة (غدير خم)، بل وبعدها في آخر أيَّام حياته الشَّريفة (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما طلب كتفا ودواة، ليكتب لهم كتابا لن يضلُّوا من بعده أبدا، وما هو إلاَّ إلايصاء بشكلٍ قاطع و واضح، أو بالأحرى تكرار الوصيَّة لهم وتأكيدها بعليٍّ (عليه السلام) وأولاده من بعده، فهم القيادة الحقَّة من بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكن كان جواب بعضهم: إنَّ رسول الله قد غلبه الوجع، أو أنَّه يهجر، وعندنا كتاب الله وهو حسبنا، فلا نحتاج إلى كتابٍ غيره [2]، وتنازعوا فيما بينهم ليحولوا دون كتابة ذلك

(١) طه:٩٠، ٩١.

(٢) ينظر: صحيح البخاري ٣٢/١ كتاب العلم / باب كتابة العلم و ٤ / ٧ كتاب المرضى / باب قول المريض قوموا عني و ٢٧١/٤ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة / باب كراهية الخلاف و ١٧٨/٢ كتاب الجهاد والسير / باب هل يستشفع إلى أهل الذمة و ٦٢/٤ باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب. و كذلك صحيح

حتى آذوا رسول الله (ﷺ)، وهو في آخر أيَّامه الشَّريفة، وفي شدَّة مرضه، فأمر بأن يخرجوا من بين يديه، وكان الأحرى بهم، بل اللازم عليهم الإمتثال، وعدم التَّمرد لأمر القائد الأصل.

والقرآن الكريم يسنده، ويشُدُّ على يده، ويقول: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [1]، بل هو مأمور من الله تبارك وتعالى في تبليغ الوصيَّة.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2]، .

وحينما أتمَّ البلاغ بالوصية في حادثة مشهورة وعلى مرآى ومسمع الآلاف من المسلمين الأوائل نزل قوله تعالى: ﴿ ..... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3] .

مسلم ١٢٥٩/٣ كتاب الوصية / باب ترك الوصية و ١٢٥٧/٣ كتاب الوصية / باب ترك الوصية. وكذلك مسند أحمد ٢٤/١ و ٢٢٢ و ٣٤٦/٣. وغيرها كثير....

(١) النجم:٣، ٤.

(٢) المائدة:٦٧.

(٣) المائدة:٣.

وكذلك في موقف تأريخي آخر تنقله الرُّوايات، وهو قصَّة أسامة بن زيد، ومجمل هذه القصَّة [1]: قالوا لمّا كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالتهيؤ لغزو الروم، فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد، فقال سر إلى موضع مقتل أبيك، فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، فأغر صباحا على أهل أبنى، وحرق عليهم، وأسرع السير تسبق الاخبار، فإن ظفرك الله، فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع أمامك فلمّا كان يوم الأربعاء بدئ برسول الله صلى الله عليه وسلم فحم وصدع، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده ثم قال:أغز بسم الله في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله فخرج بلوائه وعقودا فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلّا انتدب في تلك الغزوة فيهم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وقتادة بن النعمان، وسلمة بن أسلم بن حريش، فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا، فخرج وقد عصب

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج٢، ص ١٩٠، وكذلك ينظر تأريخ بن الأثير: ج٢، ص ٣١٧ وغيره من المصادر .

على رأسه عصابة وعليه قطيفة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال أمّا بعد أيّها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله...

وبالنتيجة فقد طُعِنَ بهذا القرار، وطَعَنَ قوم من كبار الأصحاب في تأمير أسامة وقالوا: كيف يُأمِّر علينا شابًّا لا نباتَ بعارضيه ؟، وقد طعنوا من قبل في تأمير أبيه، وقد قالوا في ذلك وأكثروا النقد حتى غضب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غضبا شديدا ممَّا سَمِع من طعنهم، وانتقادهم لقراره، فخرج (صلى الله عليه وآله وسلم) معصَّب الرأس محموما يتهادى بين رَجُلين، ورجلاه تخطَّان في الأرض لشدّة الألم والمرض، ومن شدة ما به من لغوب، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير أسامة ولئن طعنتم في تأمير أسامة فقد طعنتم في تأمير أبيه من قبله وأيم الله انَّه كان خليقا بالامارة وانَّ أبنه من بعده لخليقٌ بها. ثم جعل (صلى الله عليه وآله وسلم) يحظَّهم على التعجيل، وجعل يقول: جهِّزوا جيش أسامة، ويكرّر ذلك على مسامعهم، وهم متثاقلون وعسكروا بالجرف وما كادوا يفعلون.

أيُّ عقوقٍ هذا لرسول الله؟ ألم يقرأوا القرآن، وهم حفظّه ونزل بين أيديهم، وسمعوه من فم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟، والقرآن قول: ﴿ .... وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ

.... ﴾ [1] ، و: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [2] ، و: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [3] .

وإنَّ حالات التَّمرد والعصيان غالبا ما تظهر في الظُّروف الحرجة والصَّعبة ومفترق الطُّرق في المشروع الرِّسالي، أو حينما تكون هناك إغراءات مادية أو فتن معنوية أو إبتلاءات صعبة ونحو ذلك.

ويحكي لنا القرآن الكريم حالة التمرد والجبن والعصيان التي مارسها قوم نبي الله موسى حين أمرهم بفتح الأرض المقدَّسة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ۞ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟

(١) الحشر:٧.
(٢) الأحزاب:٣٦.
(٣) آل عمران:٣١.

مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ۞ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۞ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1].

وكذلك يحكي لنا القرآن نحواً آخرَ من التَّمرُّد في قصَّة طالوت قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۞ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ

(١) المائدة: ٢٠ـ٢٦.

فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۞ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۞ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[1].

(١) البقرة:٢٤٧ـ٢٥٢.

وغير ذلك من شواهد على هذه الظاهرة (التمرد والعصيان) على القيادة الإلهية حتى وصل الأمر إلى قيادة الفقيه الجامع للشرائط في زمن الغيبة، ولا زال هذا المرض يسري في الدِّماء ويبرُز في فترات الشّدة والتمحيص والبلاء والإمتحان والظروف الحرجة والصعبة ومفترق الطرق ونحو ذلك.

فنسأل الله تبارك وتعالى الثَّبات على المبدأ والإستعداد للطَّاعة والتَّضحية في سبيل الله ورسوله وخُلفائه المعصومين (عليهم السلام)، والقيادة الدِّينية الحقَّة الواعية المضحِّيَّة.

المرض الخامس: إتِّباع الهوى والميل إلى الباطل والركون إلى الشهوات.

ذكروا: أنَّ الهوى هو ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وقيل: سمي بذلك لأنَّه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية[1].

ولا شكَّ انَّ إتِّباع الهوى، والركون إليه من الأمراض الخطيرة، والمهلكة التي تواجه الناس عموما والمؤمن الرسالي خصوصا، لذا ورد التحذير الشديد والمتكرّر من الركون إلى الهوى وإتِّباعه من دون تعقّل وموازنة مع ما أمر الله تبارك وتعالى به.

والقرآن الكريم يضعنا أمام آيات مباركة كثيرة ليولّد زخما بأزاء هذا المرض وهذه الظاهرة السلبية التي يعيشها الإنسان في لحظة من لحظاته كي لا تستفحل عليه، وتتمكن منه، وتصبح ملكةً راسخة تسيره هذه الظاهرة، فتكون أقواله وأفعاله وسلوكياته تبعا لهواه، وما يمليه عليه.

قال تعالى: ﴿ .....أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[2].

(١) مفردات الفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، ص ٨٤٨ مادة (هوى)
(٢) البقرة:٨٧

هكذا يحدثنا القرآن الكريم، فقد منعهم إتّباع هوى النفس من الإذعان الى الحق، واتباع الرسل، فاستكبروا ووقعوا في الكبائرمن تكذيب الرسل، بل وقتلهم وساء مصيرهم وآخرتهم.

قال تعالى: ﴿ .....فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [1] ، وقال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [2].

فاتّباع الشهوات صورة من صور الركون إلى الهوى ؛ لانّ الهوى ـ كما قلنا ـ هو الميل إلى الشهوات، وقوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [3]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [4]، وقوله تعالى: ﴿ .....وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [5].

---

(١) النساء:١٣٥.
(٢) مريم:٥٩.
(٣) الفرقان:٤٣.
(٤) الجاثية:٢٣.
(٥) ص:٢٦.

وفي قبال ذلك، فقد مدح القرآن الكريم، وأثنى على من نهى نفسه عن الركون إلى الهوى والميل إلى الشهوات.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [(١)].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انَّه قال: (طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود لم يره)[(٢)]، وعن الإمام زين العابدين انَّه قال: (انَّ الله جل جلاله يقول: وعزَّتي وجلالي وعظمتي وجمالي وبهائي وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا جعلت همه في آخرته، وغناه في قلبه، وكففت عنه ضيعته، وضمنت السماوات والأرض رزقه، وأتته الدنيا وهي راغمة)[(٣)].

ومن هنا يتَّضح أنَّ الهوى آفة خطيرة هي أساس البلوى وينبوع الشر وآفة النفس، فلا بد من الحذر كل الحذر، وتجديد العهد بالله تبارك وتعالى، والإخلاص إليه، ومجانبة الهوى صغيرُهُ وكبيرُهُ، وإنَّما يتم ذلك بمجاهدة النفس روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) انَّه قال: (**لا فضيلة كالجهاد، ولا جهاد كمجاهدة**

(١) النازعات: ٤٠، ٤١.

(٢) ميزان الحكمة محمد الريشهري: ج٩، ص٣٠٨، ح٢١٤٥٤

(٣) ثواب الأعمال: ص ٩٢

الهوى)[1]، وعن أبي ذر (رض) يقول: (**قلت: يا رسول الله أي الجهاد أفضل ؟ قال (ﷺ): ان يجاهد الرجل نفسه وهواه**)[2].

وقد كشفت التجارب في العمل الرسالي، ومن خلال سيرة الأنبياء والرسل (صلوات الله عليهم) أنَّ كثيرا من أقوامهم، بل وأتباعهم تأخروا عن قافلتهم؛ قافلة الحق والعدل الإلهي عندما ركنوا إلى الهوى واتَّبعوا الشهوات.

والهوى أصل مفاسد ومهالك كثيرة يقع فيها الفرد، منها:

١. **الفتنة:** وهي ما تؤدي إلى ارتكاب الحرام والفساد في الأرض عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنَّه قال: (**الهوى مطية الفتنة**)[3]، وعنه (عليه السلام): (**إنَّما بدء وقوع الفتن من أهواء تتَّبع، وأحكام تبتدع**)[4].

٢. غلبة الشهوة على العقل وإضاعة الواجبات الشرعية: فالإنسان الذي يحكِّم عقله يكون ممدوحا بنص القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[5]، وهذا بتحكيم العقل والخوف من الله تبارك وتعالى،

(١) ميزان الحكمة محمد الريشهري: ج٢، ص١٣٧، ح٢٩١١
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٦، ٢٩٠٤
(٣) المصدر السابق، ج٩، ص٣٠٣، ح٢١٣٩٤
(٤) المصدر نفسه، ج٧، ص٢٥، ح١٥٧٢٠
(٥) النازعات:٤٠، ٤١.

لكن إذا مال إلى الشهوات، وركن إليها، واتَّبع هواه حينئذ تغلب عليه الشهوة وتسيطر على عقله.

٣. تضييع الفرائض، وإتباع الشهوات: قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴾[١].

٤. إنعدام البصيرة: فالإنسان عندما يتَّبع هواه تنعدم بصيرته شيئا فشيئا، وينعدم هذا الوجدان الإيماني، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[٢].

٥. الذّل في الدنيا: عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنَّه قال: (من تلذّذ بمعاصي الله أورثه ذلاً)[٣].

٦. الضلال والخسران في الآخرة: قال تعالى: ﴿ .....وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾[٤].

٧. نهايته تكون بالحزن والندم: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: (ربَّ شهوة ساعة تورث حزنا طويلا يوم القيامة)[٥].

---

(١) مريم:٥٩.
(٢) الجاثية:٢٣.
(٣) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٧، ص٣٠٥، ح ٢١٤٢٢
(٤) ص:٢٦.
(٥) ميزان الحكمة ، محمد الريشهري، ج٩، ص٣٠٧، ح٢١٤٤٦

وبعد كل ذلك يتأكد ضرورة مجاهدة النفس، وتحليتها بالفضائل، وتخليتها من الرذائل التي منها الهوى.

ومن هنا كان النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وكذلك أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأولاده المعصومون (عليهم السلام) من بعده يوعظون أصحابهم بإستمرار، ويذكّرونهم بالآخرة في مجالس الذكر والوعظ والإرشاد، وكانوا شديدي ذكر الآخرة في مجالسهم والوعظ والإرشاد والذكر لأصحابهم ويحذّرون من الهوى وإتباعه كما جاء في الروايات الكثيرة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (**فاز من غلب هواه وملك دواعي نفسه**)[1]، وعنه (عليه السلام): (**لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه**)[2].

وبعد كل ما تقدم من الأدلة الدالة على خطر الهوى على النفس، وضرورة مجاهدة النفس، وعدم الركون إليها نفهم سرَّ خروج البعض عن المسيرة، بل والإنشقاقات التي تحصل في المشروع والتيار الواحد، والتصدّعات التي في الغالب تكون أسبابها الركون إلى اهواء النفس، وقد تأوَّل بتأويلات مختلفة لإقناع النفس، وإلاَّ فالحقيقة واحدة، وهي الركون إلى هوى النفس والإستماع إليها والسير على هواها، وما التأويل إلاَّ لإقناع

(١) المصدر السابق، ج٩، ص٣١٢، ح٢١٥٠٨
(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص٣١٢، ح ٢١٥١٠

نفسه، فإنَّ للهوى جنودا و أتباعا وأدوات و وسائل يسلّطها على الإنسان عسى أن يفلح في واحدة منها، فمن جهة المال والسلطة، ومن جهة ثانية الجاه والنفوذ، ومن جهة ثالثة حب المدح والثناء والبروز، ومن جهة رابعة الغرور والتكبر، ومن جهة خامسة الإثم والعظمة، ومن جهة سادسة التَّجبر والطغيان، وفوق كل ذلك الذات والأنا، والله المستعان وعليه التكلان

ومن هنا نفهم الكثير من القصص التي كان يقصُّها القرآن الكريم على النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) في إستكبار الأقوام على أنبيائهم ورسلهم وأوصيائهم الصالحين: إن هو إلا الهوى واتباع الشهوات.

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (١).

فيأتي الخطاب الإلهي الذي يعصم الإنسان من الركون إلى الهوى وحب الشهوات قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ (٢)،

(١) آل عمران:١٤.
(٢) الشمس:٩.

وقولـه: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [1] .

وهذا على القاعدة والأصل انَّ الإنسان يخاف مقام ربه وينهى نفسه عن الهوى، فيكون مأواه الجنة، أمّا الخروج عن الأصل فهو الذي يركّز عليه القرآن الكريم، والقرآن لم يجعل المعيار للحق هو الكثرة والقلة.

قال تعالى: ﴿ .....وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [2]، وذلك يشهد به القرآن الكريم قال تعالى حاكيا عن الملائكة في خطابهم لأهل النـــــار: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۞ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ [3]، فالأصل انَّ الإنسان مخلوق إلى الجنة حتى يتنعم بها، بل الأصل انَّ الله تبارك وتعالى خلق الخير وأراد للناس الخير.

(١) النازعات:٤٠، ٤١.
(٢) المؤمنون:٧٠.
(٣) المدثر: ٤٢، ٤٣.

المرض السادس: التخندقات والتكتلات داخل المشروع الرسالي والمحورية في الإبتعاد عن الهدف.

من الأمراض التي تصيب العمل الرسالي أفرادا وجماعات ظاهرة أسميناها بظاهرة التخندق والمحورية والتكتل، والتي كانت ولم تزل سببا للكثير من الويلات والمآزق التي يبتلي بها المؤمنون العاملون، وقد تكون لهذه الظاهرة مضاعفات وسلبيات خطيرة جدا تصل احيانا إلى تدمير العمل الرسالي، بل الوجود الرسالي إذا لم تشخَّص بدقة من وقت مبكر وتطوَّق بحدود معينة كي لا تسري إلى مفاصل اخرى في المشروع وبالنهاية لا بد من علاجها بما ينبغي من حكمة وتدبير.

فقد يبتلي العمل الرسالي في مسيرته بأفراد لهم جناح خاص، وطموحات ذاتية، وأهداف شخصية، وقناعات موضوعية خاصة بهم، وقد يصدف أن يكون لهم إمكانيات وقدرات أمَّا علمية أو مالية أو اجتماعية أو حركية وغير ذلك، فيحاولون أن يصنعوا لأنفسهم تكتّلا وتخندقا هم محوره ومرتكزه ويحيطون أنفسهم بمجموعة من الأتباع والمؤيدين والمعجبين، وربَّما النفعيين في بعض الأحيان، وهولاء يتأثرون بهم وينقادون إليهم فتنشأ حالة المحورية والتخندق حينما يدور هولاء الأتباع في فلكهم كما يدور الشيء حول المركز، فينجذبون إليهم، ويتحركون بحركتهم، ويقولون بقولهم حتى، وان كان بعيدا عن الهدف

المنشود لمشروعهم الرسالي، بل وربما يقفون بوجه القائد والموَّجه ويُأوِّلون توجيهاته وأوامره، بل وأفكاره ورؤاه بحسب ما يمليه عليهم المحور الذي يدورون في فلكه، فإنَّ حالة التكتل والتخندق إنما تنشأ من دوافع مصلحية شخصية تكون هي الأساس والمنطلق في تصرفات ونشاطات وسلوكيات هولاء أمَّا طلبا للموقع أو استحواذا على الإمتيازات أو تحقيقا لرغبات خاصة وطموحات ذاتية أو نتيجة العيش في أوهام أو الوقوع في مزلق الأمراض الأخلاقية الخطيرة وغير ذلك. كل هذا وغيره هو الأساس في نشوء ظاهرة التخندق في المشروع الرسالي الهادف.

ومن مظاهر العنصر المحوري الذي يهدف لإيجاد تكتلات وتخندقات يكون هو محورها ومركزها وأساسها:

- تغليب البعد العاطفي عن الحالة الفكرية والروحية التي تحكم المجموع من أبناء مشروعه.
- الجانب النفسي والمزاجي الذي يعيشه هذا العنصر بسبب الشعور بالعظمة، والتعالي على الآخرين، وحب الزعامة عليهم وغير ذلك، فلا يرى لنفسه شيئا إنْ لم يكن محورا، فيخلق تكتلا من حوله.

ويتضح لنا ممّا تقدم انَّ هذه الظاهرة ممّا يبتلى بها العاملون الرساليون أحيانا، وتسبب لهم إنتكاسات ومضاعفات خطيرة في مسيرة العمل، وقد تؤثر على تقدّم المشروع ونموه ان لم تساهم

في التراجع والإنكسار، فهي حالة سرطانية في داخل المشروع قد تؤدي إلى تمزّقه وتشرذمه، وبالآخرة الموت المعنوي المؤكَّد لذا ينبغي الحذر كل الحذر من هذا المرض، فإن الكثير من حالات الإنشقاق، وتآكل الوجود الرسالي وتبعثره واختراق صفوفه ووقوعه في انتكاسات نفسية وعملية سببه حالات التخندق المحورية، والعلاج أن يكون الأصل في عمل المؤمن الرسالي الإخلاص لوجه الله تبارك وتعالى، وأن يهدف ما أراده الله تعالى بعيدا عن طلب الغايات والمصالح الذاتية، وليبتعد عن دائرة كسب الإعجاب والرضا وتسليط الأضواء من قبل الآخرين في مشروعه، ولا يقبل عبارت المدح والثناء، فإنَّها تركز حالة الأنا فتستفحل عليه، ولا عاصم إلّا الله تبارك وتعالى.

ويمكن أنْ نجري مسحاً داخل المشروع، لنرى مقدار مَنْ يتأثر بهذه الظاهرة، فيكون مؤهَّلا لأن يصير محورا فيها، وذلك من خلال إكتشاف مواقفه، فهل يميل مع الهوى كما يميل، أو يحكم بالعقل، وينهى النفس عن الهوى؟

إنَّ هذه النقاط وغيرها تكشف شخصية العامل، ليرى هل هو من أصحاب المحورية، وحب التخندق، أو لا؟

وما في القرآن الكريم من القصص كفاية لكل عامل متبصِّر في أمور دينه وعقيدته، فقد كان السامري محورا لأصحابه

وتخندق وجذب الكثير من أتباع موسى (عليه السلام)، ومن روَّاد مشروعه، وقد فوَّت ما فوَّت من المشروع الإلهي حتى وقع الكل في التيه العظيم، كما ينطق القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾[1].

(١) المائدة:٢٦.

المرض السابع: ضعف الهمم والتقاعس والتكاسل والإتكالية في العمل واليأس والقنوط من تحقيق النتائج.

حالة مرضية تعيشها الأمم والشعوب تجاه مشروعها وقادتها، بل شملت العاملين الرساليين في حركتهم وعملهم وتبني مشروعهم الرسالي الهادف، فبدلا من أن تكون الهمم عالية، والعمل دؤوباً، والأمل يجْدوا بالنفوس بلحاظ ما يحمله مشروعهم من جذوة إيمانٍ وعقيدةٍ وسلوكٍ تتفجر معه طاقات، ويتنامى معه العمل قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[1]، وبدلا من كل ذلك نجد بوضوح في بعض مفارق العمل الرسالي ضعفا في الهمم وخورا في العزائم وتباطئا في السير نحو الهدف وهيمنةً لروح التشاؤم واليأس والقنوط من تحقيق الهدف، وكنتيجة طبيعية يضعف العمل، وتقل النتائج، وينكسر بقيَّة العاملين المخلصين لشعورهم بالوحدة تجاه تحدِّيات كثيرة بعد ان تقاعس الأخرون وشعروا بروح الهزيمة واليأس والقنوط ظاهرا، وهي حالة مرضية يعيشها أبناء المشروع الرسالي، ويمرّون بمضاعفاتها بين فترة وأخرى رغم وجود المدد الإلهي، والقرآن الصامت والناطق بين أياديهم موَّجهاً ومصحِّحاً للمسيرة.

(١) التوبة:١٠٥.

ولعمري أنَّ وجود القائد بين أتباعه لهو خيرُ معينٍ لهم على تخطي هذه الصعاب والتغلب على هذه الامراض.

قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1].

ويحكي لنا القرآن الكريم كيف كان الأنبياء والرسل بين أصحابهم في حلهم وترحالهم ودعوتهم وتبليغهم، بل حتى في ساحات المعارك والقتال نجدهم هم المتقدمون، وهم الأوائل.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۞ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۞ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[3].

وهكذا عموم الأنبياء والرسل وقادتنا المعصومين (عليهم السلام) كانوا يعيشون هموم وآمال وآلام أتباعهم وعموم المسلمين، فهم بينهم

(١) آل عمران:١٠١.
(٢) طه:٧٧ـ٧٩.
(٣) العنكبوت:١٤.

في كل ظروف الحياة، فكان أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والممثّل الشرعي له والرجل الأوَّل في الدولة، وهو يعيش بين الناس، ويخرج إلى السوق لتفقّد أحوالهم، بل حتى في سوح القتال كان أوَّلهم وهو السَّبَّاق للدِفاع عن العقيدة والدفاع عن القرآن.

ومن بين أهم الأسباب التي توَّلد هذه الظاهرة المرضية من التقاعس في العمل والضعف في الهمة واليأس والقنوط من الوصول إلى الهدف، ما يلي:

١ـ الطوليَّة في الزمن الملحوظ في تحقق النتائج: فالأعمال الرسالية عادة لا تقاس بالزمن، ولا ينتظر منها تحقق النتائج في مقطع زمني سريع، بل لا بد من تكامل العمل، وتصاعده من جيل إلى جيل آخر حتى تُبيَّن النتائج بوضوح وجلاء، ومثال ذلك الإسلام العظيم الذي هو مشروع الأمة، ومشروع التكامل الذي أراده الله تبارك وتعالى لقيادة المعمورة بأجمعها لم يتم بكل أهدافه بسنة ولا سنوات، وانما هو مشروع له إمتدادات سابقة عن نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) حتى وصل إليه، ثم من بعده إلى خلفائه بالحق أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ومن بعدهم يمتد في غيبته الصغرى والكبرى حتى يتم الظهور، وتُملأ الأرض قسطا وعدلا، ومع ذلك لا ينبغي التراخي والتقاعس عن أداء التكليف الشرعي المناط

بالمؤمن الرسالي، فعليك ان تعمل وتقدم دورا في هذا المشروع والنتائج متروكة بتقديرات الله تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ (٢).

ونحن نعتقد أنَّ العمل الرسالي ممتد ومتلاحم من جيل إلى جيل، وأنَّ الكرة الأرضية كلها ميدان مفتوح للعمل الرسالي، لأنَّ الدعوة الإلهية لا تقتصر على مكان دون آخر، ولا على زمان دون آخر، ولا على جيل دون آخر، والذي يتأمل في مسيرة الدعوة الإلهية في القرآن الكريم يشاهد إستمرارية حلقات هذه الدعوة، وتواصل أدوارها، وتواظب مناهجها، ووحدة أهدافها رغم التباعد الزمني، والإختلاف المكاني، وتغيير الأحيال، وعليه فلا ينبغي أن

(١) التوبة:٣٣.
(٢) النور:٥٥.

يكون الطول الزمني الملحوظ في تحقق الأهداف والنتائج موثّرا على العمل، والتقاعس فيه، وضعف الهمم، بل ينبغي مضاعفة الجهود، وزيادة المجهود ن وعلو الهمَّة، والعيش في أمل وإستقرار ؛ لانَّ المستقبل لنا، والله قد وعدنا بإستخلاف الأرض مع الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف، وتحت راية العدل، والسَّلام، والحب.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [1] ، وقال تعالى: (﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [2] ، فالأمر بحاجة إلى صبر ومطاولة وثقة بالنفس وزرع الأمل في القلوب.

قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [3] .

٢ ـ الصعوبات والعقبات التي تواجه العمل الرسالي، والشدة والخوف، والألم، وكلُّ ما يكون من شأنه أنْ يزعزع الإنسان في

(١) الإنشقاق:٦.
(٢) القصص:٨٣.
(٣) النحل: ١٢٧، ١٢٨.

مسيرته إلى هدفه؛ ولا شك أنّ العمل الرسالي كغيره من الأعمال لا بد أن تواجهه عقبات وصعوبات في طريقه قد تنغص على العاملين لذَّة عملهم وتصعِّب عليهم الإستمرار فيه، وبذلك قد يتلكّأ البعض وتقل وتضعف همَّته، فيتقاعس عن عمله، ولا ينتج بمقدار ما هو مطلوب منه، وقد مرَّت هذه اللحظات الصعبة في حياة الرسل والأنبياء، وقد عاشوا مرارتها مع أصحابهم حتى عبَّر القرآن الكريم عن ذلك.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[1].

وهذه الآية الشريفة تحكي لنا بوضوح مقدار الصعوبات والعقبات التي كانت تواجه الرسل في مشروعهم والدعوة إليه حتى ظنَّ الناس انَّ الرسل قد كُذّبوا فيما يدعون إليه وقد اخبروا بالعذاب كذبا، وكما يحكي القرآن الكريم في قصة نبي الله نوح (عليه السلام).

قال تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[2]

(١) يوسف:١١٠.
(٢) هو:٣٦.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۞ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[1]

ومع ذلك لم يتقاعس الأنبياء والرسل عن أداء تكليفهم الشرعي، وإنَّما استمروا في بيان رسالتهم، وفي خدمة مشروعهم والمهم أنَّهم يؤدّون ما عليهم من التكليف رغم شدَّة العقبات التي يواجهونها، فاتُّهموا بشر الإتهامات وأقبحها وهدّدوا بالقتل، بل قُتل الكثير منهم، ومع ذلك هم يكرِّرون قولَه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2]، وقولـــه: ﴿ .....إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[3].

وجاء في عيون أخبار الرضا (عليه السلام) بإسناده عن علي بن محمد بن الجهم قال: (حضرت مجلس المأمون العباسي وعنده الرضا علي بن موسى (عليهما السلام)، فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك انَّ الأنبياء معصومون قال (عليه السلام): بلى، وذكر الحديث إلى ان قال فيه: قال المأمون لأبي الحسن (عليه السلام) فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ

(١) نوح:٢٦، ٢٧.
(٢) البقرة:٢١.
(٣) هود:٨٨

كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ قال الرضا (عليه السلام): يقول الله: حتى إذا استيأس الرسل من قومهم وظنَّ قومهم انَّ الرسل قد كُذّبوا جاء الرسل نصرنا)[1].

وهذه سنَّة إلهية جارية مع الأنبياء والرسل والأئمة (عليهم السلام)، بل مع كل فرد مؤمن يعمل مخلصا لله تبارك وتعالى، فإذا كُذّب الرسل، ومرّوا بالشدائد والأهوال وضِيْقَ بهم ذرعا يجيء نصر الله لهم، فينجي المؤمنين الصابرين، ولا يُردُّ بأس الله تبارك وتعالى عن القوم المجرمين بمعنى إذا انقطعت الأسباب الطبيعية عن تحقيق ما أراده الله تبارك وتعالى يمدَّهم الله بمدده وتوفيقه ونصره.

وهذه سنة الله وحكمته في الدعوة إلى دينه ومشروعه، فعلى الدعاة الرساليين ان يبذلوا كل جهودهم ومجهودهم لتحقيق مقصودهم وهدفهم، ولا يبخلوا في شيءٍ من ذلك، ولا تقف العقبات والتهديدات وغيرها أمام عملهم، فلا تضعف هممهم، ولا تخور قواهم وعزيمتهم، بل يبقون على نفس الهمة، والعمل حتى يأتيهم نصر الله تبارك وتعالى بالتوفيق والتسديد لا محالة.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[2]، أمَّا إذا ضعفت الهمم، وخارت القوى، وتكاسل

(١) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق: ج١، ص١٤٨ – ١٥٢.
(٢) محمد:٧.

العمل، فسينعكس ذلك على المشروع، ويضعف الآخرون، فلا يتحقق نصر الله تبارك وتعالى، ولا يحقّق الله وعده بسبب هذا التواطئ والتكاسل والخور في العزيمة والضعف في الهمم.

ولا زال يحكي لنا القرآن الكريم ـ في هذا المجال ـ صورا رائعة من العطاء والعمل والعزيمة كان يقدِّمها الأنبياء إتجاه مشروعهم ومجتمعاتهم واقوامهم لهدايتهم.

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ۞ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ۞ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [2]، فكانت الإستجابة محدودة من قبل أقوام الانبياء والرسل مع التكذيب لهم والصدود عنهم والتشكيك برسالتهم.

قال تعالى: ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [3]،

(١) الشعراء:١٦٧.
(٢) الشعراء:١٧٠ـ١٧٤.
(٣) نوح:٧.

ويكرِّر عليهم نبيهم نوح (عليه السلام): ﴿ .....يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [1] ، وما كان جوابُ قومه الّا أن قالوا: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [2] ، ويصور لنا المشهد بقوله تعالى: ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ [3] ، وقوله: ﴿ .....فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ [4] ، وقوله: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [5] .

٣ـ تراكم الإحباطات والإنتكاسات التي تصيب المشروع: ربما يكون لتكرار الفشل والإنتكاسات أثر في ضعف همَّة العاملين ويلزم من ذلك أثراً سلبيا في عزائمهم ومعنوياتهم، فيخمد لهيب جذوة الحماس والإندفاع نحو تحقيق الهدف وبالتالي يحلُّ اليأس والقنوط محل الأمل والتفاؤل، وهذا ما يحكيه القرآن

(١) الأعراف:٥٩.
(٢) هود:٣٢.
(٣) الفرقان:٣٧.
(٤) العنكبوت:١٤.
(٥) العنكبوت:١٥.

الكريم عن قوم موسى من الإسرائيليين حينما يشكون أمرهم إلى نبيِّهم قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾[1].

إنَّ الإنتكاسات قد تتوالى، والإحباطات قد تتراكم، وقد تتجسَّد في طول الطريق مع بطش الطغاة، وقلة العدد وضعف العدّة، وتتكثَّر المشاكل والمصاعب، ولكن يبقى الأمل بالله تبارك وتعالى، فإنَّ اليأس والقنوط ليس من صفات العاملين الرساليين ولهم في رجال الله تبارك وتعالى الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة، فهل عملوا بمقدار ما عمل نوح (عليه السلام)، أو قدَّموا بمقدار ما قدَّم إبراهيم (عليه السلام)، أو مرَّ عليهم بمقدار ما مرَّ على النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ وهل عاشوا تلك الرسالية من العمل والدعوة التي عاشها الأنبياء وأوصيائهم وأصحابهم؟

نعم، لا شك انَّ لهذه الإبتلاءات محلاً في الجسد الرسالي، فقد تؤثّر بمقدار، ولكن لا ينبغي أن نجعلها الحالة الغالبة، وانَّما علينا انَ نتماسك ونُعيد تنظيم صفوفنا من جديد لننهض من جديد مستمدين العون والقوة من الله تبارك وتعالى، وعلينا أن نفهم انَّ هذه الصعوبات والإنتكاسات سنة في العمل الرسالي حيث إنَّ

(١) الأعراف:١٢٩.

الأصل في هذا العمل هو ملاقاة المحن والصعوبات لإنجاح الهدف، ولا نتوقَّع انَّ الطريق سيكون معبَّدا بالزهور والرياحين، بل هو طريق ذات الشّوكة، فعلينا بالصبر والأمل.

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[1].

والخلاصة إنَّ كل ما يمرُّ من صعوبات وعقبات وانتكاسات في المشروع ومهما بعُد الزمن عن تحقيق النتائج، فلا ينبغي أن يمر العامل الرسالي بمرحلة التقاعس واليأس والقنوط، وإنَّما عليه أن يصمد أمام هذه المتغيرات، ويكون واثقا من النتائج مع سلامة هدفه، وعلو همَّته.

(١) البقرة:٢١٤.

المرض الثامن: القولُ بلا عمل.

بمعنى كثرة الشّعارات، والوعود والنظريات، والأقوال مع خلو ساحة العمل من التنفيذ، وهو ليس فقط مرضا بحد نفسه، وإنَّما هو أقرب ما يكون إلى النّفاق كما وَرَدَ عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**)[1].

والقرآن الكريم يصِف لنا هذا المرض، ويُحذّرنا منه بوضوح تام كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[2]، فالخطاب عام وفيه عتبٌ وزجرٌ عن هذه الظاهرة السلبية، والمقت هو البغض الشَّديد، وفيه نوع من العتب والزجر عن هذه الحالة المرضية التي هي عامة،

وقال تعالى على لسان نبيه شُعيب (عليه السلام): ﴿ .....وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾[3].

---

(١) تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي:ج٩، ص٣٥٣، و حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني: ج٥، ص٤٣

(٢) الصف:٢، ٣.

(٣) هود:٨٨

فالنبي شُعيب (عليه السلام) يؤسِّس هذا المبدأ ويُطبِّقه ويُجريه على نفسه، وهو تنفيذ ما يقول وتحقيق ما يعد، فإن نهى عن شيء كان أوَّل من يُنفِّذ وينتهي، وإذا أمر بشيء كان أوَّل من يمتثل ويُنفِّذ، فلا يُخالفهم لما نهاهم عنه.

هكذا ينبغي أن يكون المشروع الرِّسالي الهادف ومَنْ يمثله صادقا في ما يقول وجادًّا في تنفيذ ما يعد لا يُخالف ما الزم النَّاس به أو دعاهم إليه وفي هذا الصَّدد يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1]، .

وقد رُوي عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله لإبن مسعود: (يا ابن مسعود لا تكوننَّ ممَّن يهدي الناس إلى الخير ويأمرهم بالخير وهو غافل عنه يقول تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ ... ﴾)[2]،

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له والنَّاهين عن المنكر العاملين به)[3].

(١) البقرة:٤٤.

(٢) مكارم الأخلاق، للطبرسي، ص٥٧٨

(٣) نهج البلاغة، شرح محمد عبدة، ج٢، ص٢١٥ من خطبة له (عليه السلام) في ذكر المكاييل والموازين.

وهذه هي دعوة الحق التي تستحق أن تقود الحياة والناس، وهكذا كان رجال الله تبارك وتعالى من الأنبياء والرسل والأئمة (عليهم السلام) دعوتهم دعوة حق يتطابق فيها القول مع العمل والسُّلوك مع النظرية، والإدِّعاء مع الواقع، والشعار مع التنفيذ، فمَنْ أراد السير على منهجهم واتّباع هديهم، فعليه أن يلتزم بما التزموا فيه ولا يُخالفهم، فيقول ما لا يفعل ويعِد ويخلف ويكون سلوكه مجرد شعار ونظرية وادِّعاء، فلا يُشدِّد على الناس في الدين والدنيا، ويخفِّف عن نفسه، وإنَّما المفروض أن يكون أوَّل المنفِّذين والمطبِّقين لما يقول ويعتقد.

ورد في قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لابن مسعود: (يا ابن مسعود لا تكن ممَّن يتشدد على الناس ويُخفّف عن نفسه يقول تعالى: ﴿..لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾)[1]، .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) انَّه قال: (مَنْ لم يختلف سرُّه وعلانيته وفعله ومقالته فقد أدى الأمانة وأخلص العبادة)[2]، وقوله (عليه السلام): (لا تكن ممَّن يرجو الآخرة بغير عمل ويرجو التَّوبة بطول الأمل يقول في الدنيا قول الزاهدين ويعمل فيها عمل الراغبين..... وينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي ثم يُبالغ في المسألة حين يسأل

(١)مكارم الأخلاق، للطبرسي، ص٥٧٩

(٢) نهج البلاغة، ج٣، ص٤١١ من كتاب له (عليه السلام) إلى بعض عمَّاله وقد بعثه على الصَّدقة.

ويُقصِّر في العمل فهو بالقول مدل ومن العمل مقل يرجو نفع عملِ ما لا يعمله)[1].

ومن كلِّ ما تقدَّم يتَّضح خطورة هذا المرض على واقع العمل الرِّسالي، بل كل عمل يُريد به الإنسان أن يؤسِّس له مشروعا ومبدأً في الدنيا والآخرة فضلا عما كان بعين الله تبارك وتعالى وامتثالا لأمره كالعمل الرِّسالي المستمد من مبدئيَّة القرآن الكريم.

وإنَّه وإنْ كان الخطابُ في الآية الشريفة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[2]

عاما لجميع المؤمنين كما هو بيِّن لكن أوضح وأخطر مصداق يُوجَّه إليه الخطاب هو المؤسَّسة الدينية بكلِّ مفارقها ومنافذ العمل فيها من أعلى درجة إلى أدنى درجة، ومن أهمّها العمل الإسلامي الرسالي وكذلك كل إنسان هادف ينتمي لهذا المشروع المبارك، كي يبقى الكلام في هذه المؤسَّسة الدينية في حيِّز التأثير في المقابل بالوعظ والإرشاد والتنبيه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيكون مرشدا في سلوكه وعمله يطبِّق ما يقول، بل نجده فيه، وان لم يتحدَّث كما وَرَدَ عنهم (عليهم السلام): (**كونوا لنا دعاة صامتين**)[3]، وفي رواية أخرى: (**كونوا دعاة**

(١) المصدر السابق، ج٤، ص٥٣٥، من كلام له(عليه السلام) لرجل سأله ان يعظه.
(٢) الصف : ٢
(٣) إحقاق الحق للتستري ج٢٨، ص٤٠٧.

للناس بالخير بغير ألسنتكم، ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع)[1].

وذلك أدعى للتأثير في الناس، والدخول إلى قلوبهم، وجذبهم إلى الدين وأحكام الشريعة، وإلّا ـ أي لو كان القول بلا عمل ـ فسيهتز العنوان في قلوب الناس، وتفقد الموعظة حلاوتها ولذَّتها، ولا يأخذ الإرشاد مداه التطبيقي الصَّحيح، وسيجد الناس أنَّهم غير معنيين بما يوعظون به ؛ لأنَّ قائله غير متَّعظٍ بما يقول ولا يبدو ذلك على سلوكه.

وهذا لعمري خطرٌ عظيم، فستفقد المؤسَّسة الدينية والمشروع الرسالي مكانته المقدسة في قلوب وعقول الناس، ويخفت بريقه وتأثيره في سلوك الناس، وينسدُّ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقِلُّ مساحة الوعظ والإرشاد، وينعكس ذلك سلبا على عنوان الدين والعقيدة ؛ لانَّ الناس تنظر إلى عنوان المؤسَّسة الدينية انَّه يُمثِّل الدين والعقيدة، فأي ممارسة خاطئة تنعكس سلبا على هذا العنوان.

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال: (مَنْ نصَّب نفسَه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته

(١) عقائد الإمامية للمظفر ص ١٠٦ وهي محاورة أبي جعفر الباقر (عليه السلام) مع جابر الجعفي.

قبل تأديبه بلسانه ومعلمُ نفسه ومؤدِّبُها أحقُّ بالإجلال من معلم الناس ومؤدِّبهم)[1].

وهذه الرواية جاءتْ بسياق مقارب لما عليه في الآية السَّابقة، وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[2]، بأن يبدأ بنفسه يُعلّمها الصَّلاح والكمال قبل أن يعلّم الآخرين، فيكون ما يقوله يفعله، بل هو فاعله قبل أن يقوله، فلا ينطبق عليه الزجر والمقت الذي جاء في الآية القرآنية الشريفة، وهذا سرٌّ من الأسرار التي يُعلّمها لنا أمير المؤمنين (عليه السلام)، فيقول: أيُّها المتصدُّون للعمل الدِّيني الرسالي انَّ وظيفتكم مهمة وخطرة وعظيمة، ولكي تنجحوا فيها فاتَّبعوا هذه السيرة بأن لا تقولوا إلا ما تفعلون ؛ لكي يجد الناس حلاوة الموعظة والإرشاد في عملكم ولسانكم وقلبكم، فما تقولوه تفعلوه وهو متجسدٌ في سلوككم وسيرتكم، فعلّموا أنفُسَكم وأدِّبوها قبل أن تعلموا الناس وتؤدِّبوهم، وليكن ذلك التأديب بالسيرة والسّلوك والعمل قبل أن يكون باللسان والقول، فإن ذلك أدعى لقبول الموعظة وتركيزها في النفوس.

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبدة، ج٤، ص٥١٥ حكمة رقم ٧٣.
(٢) الصف:٢ ـ٣.

وفي الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انَّه قال: (رأيتُ ليلة أسري بي إلى السماء قوما تُقرض شفاههم بمقاريض من نار ثم تُرمى فقلت: يا جبرائيل، مَنْ هولاء ؟ فقال: خطباء أمَّتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون)[1].

وجاء في الحديث الشريف (رب تال القرآن والقرآن يلعنه)[2]، وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انَّه قال لأبي ذر: (يا أبا ذر مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر)[3]، ووَرَدَ عن نبي الله عيسى (عليه السلام) انَّه قال لأصحابه: (بحق أقول لكم انَّ شرَّ الناس لرجل عالم آثر دنياه على علمه فأحبَّها وطلبها وجهد عليها حتى لو إستطاع ان يجعل الناس في حيرة لفعل وماذا يغني عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها كذلك لا يغني عن العالم علمه إذا هو لم يعمل به..... فاحتفظوا من العلماء الكذبة الذين عليهم ثياب الصوف منكّسو رؤوسهم إلى الأرض يزوِّرون

(١) موارد الظمآن للهيثمي ص٣٩، التدوين في اخبار قزوين للقزويني ص٢٧٠، حلية الأولياء للأصبهاني ج ٦ ص ٢٤٨. وقد وردت هذه الرواية أيضا في كتاب الميزان في تفسير القران ج١٣، ص٣٠، ووردت كذلك في كتاب الدر المنثور ج٤، ص١٥٠ إلا أنها وردت بهذين الكتابين بهذا الشَّكل: عن انس انَّ النبي (عليه السلام) قال: (ليلة أسرى بي مررت بناس يقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت كما كانت فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون).

(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ج٧، ص ٢٥٤، ح١٦٧١٢

(٣) مكارم الاخلاق، للطبرسي، ص٥٨٩

به الخطايا يرمقون من تحت حواجبهم كما ترمق الذئاب وقولهم يخالف فعلهم)[1].

وما أروع ما رواه أبو عبد الرحمن السلمي قال: (حدَّثنا مَنْ كان يُقرؤنا من الصحابة انَّهم كانوا يأخذون من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشر آيات فلا يأخذون العشرة الأُخر حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل)[2].

وعن المفضَّل بن عمر، قال: (قلت لأبي عبد الله الصادق (عليه السلام) بمَ يعرف الناجي؟ فقال: من كان فعله لقوله موافقا، فأثبت[3] له الشهادة، ومن لم يكن فعله لقوله موافقا فإنَّما ذلك مستودع)[4].

وقد إنعكس هذا المعنى في كلمات الفقهاء، ولنأخذ شاهدين من أكابر العلماء:

الأول: قال صاحب الجَّواهر: (من أعظم أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأعلاها وأتقنها وأشدها تأثيرا خصوصا بالنسبة إلى رؤساء الدين ان يلبس رداء المعروف واجبه ومندوبه وينزع رداء المنكر محرَّمه ومكروهه ويستكمن نفسه

(١) تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، ص٣٧٤

(٢) الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي، ج١، ص ٦١٨

(٣) بصيغة الأمر وفي بعض النسخ [فإنما بث] من البث بمعنى النشر وفي بعضها: [فإنما بت] من البت بمعنى القطع، وفي بعضها: [فإنما أثبت] وفي بعضها: [فإنما له الشهادة]

(٤) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني: ج ١، ص ٤٥

بالأخلاق الكريمة وينزّهُها عن الأخلاق الذميمة فإن ذلك منه سبب تام لفعل الناس المعروف ونزعهم المنكر وخصوصا إذا أُكمل ذلك بالمواعظ الحسنة المرغِّبة والمرهِّبة فإن لكل مقال مقالا ولكل داء دواءً وطب النفوس والعقول أشد من طب الأبدان بمراتب كثيرة وحينئذٍ يكون قد جاء بأعلى ألامر بالمعروف)[1].

الثاني:قال السيد الخميني (قدس سره):(من أعظم أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأشرفها وألطفها وأشدُّها تأثيرا وأوقعها في النفوس سيَّما إذا كان الآمر أو الناهي من علماء الدين ورؤساء المذهب أعلى الله كلمتهم هو الصادر عمَّنْ يكون لابسا رداء المعروف واجبه ومندوبه ومتجنبا عن المنكر بل المكروه وان يتخلق بأخلاق الانبياء والروحانيين ويتنزَّه عن أخلاق السُّفهاء وأهل الدنيا حتى يكون بفعله وزيِّه وأخلاقه آمرا ناهيا ويقتدي به الناس وإن كان بخلاف ذلك ورأى الناسُ انَّ العالم المدعي لخلافة الأنبياء وزعامة الأمة غير عامل بما يقول صار ذلك موجبا لضعف عقيدتهم وجرئتهم على المعاصي وسوء ظنِّهم بالسَّلف الصَّالح فعلى العلماء سيَّما رؤساء المذهب ان يتجنَّبوا مواضع التُّهم وأعظمها التَّقرُّب إلى سلاطين الجور والرؤساء الظلمة وعلى الأمة الإسلامية ان لو رأوا عالما كذلك حمله فعله على الصَّحة مع الأحتمال وإلاَّ أعرضوا عنه ورفضوه فانَّه غيرُ روحاني تلبَّس بزي

(١) جواهر الكلام، محمد حسن النجفي، ج٢١، ص ٣٨٢ـ٣٨٣

الروحانيين وشيطان في رداء العلماء نعوذ بالله من مثله ومن شرِّه على الإسلام)[1].

ومن كل ما تقدَّم يتَّضح بوضوح حجم التأكيد على هذه الخصلة والمزيَّة، وهي إقتران القول بالعمل، والنظرية بالتطبيق، والإدِّعاء بالتنفيذ، ويتَّضح كذلك مقدار الخطر في تخلّف ذلك وعدم المطابقة بين القول والفعل في عموم العمل الرِّسالي، فإنَّه مرض يهز كيان العمل ويُصدع جوانبه، ويُبعد الناس عنه، وفيما أوردناه من آيات وروايات وشواهد كفاية لإثبات ما نقول والواقع خير دليل وشاهد، فقد كشف عن حالات تصدّع، بل إنهيار في مشاريع إسلامية مباركة لمَّا تخلَّف فيها العمل عن القول، فأصبحت مجرد شعارات لم تستهو الناس، ولم تحرِّكهم باتجاهها أبدا.

ومن هنا يتطلَّب منا الحذر واليقظة بازاء ما نتكلم به وننظّر به للأفراد والمجتمعات؛ كي لا نقع في هذا المحذور ودائما نحاول ان نكون واعظين للناس بسلوكنا وأفعالنا، وقبل أن نأمر لابدَّ ان نكون ممَّن امتثل، وقبل أن ننهى لا بدَّ أن نكون ممَّن إنتهى، وبذلك نُدرِّب أنفسنا ونربِّيها على تقديم العمل على القول والمطابقة بينهما والوفاء بالعهود.

(١) تحرير الوسيلة، السيد الخميني: ج١، ص ٤٣٤

المرض التاسع: ظاهرة النفاق

النفاق في اللغة: قيل نسبة إلى النفق، وهو السر في الأرض؛ لأنَّ المنافق يستر كفره ويُغيِّبه عن الأنظار.

أمّا النفاق في الشَّرع: فيطلق على معنى ومصطلح خاص، وهو إظهار الإسلام قولا وعملا، وإضمار الكفر، ومَنْ يكون هذا حاله يقال عنه منافق ويمكن توسعة هذا المفهوم ليشمل كل مَنْ كان ظاهره شي وباطنه عكس ذلك الشيء.

وآفة النفاق من الآفات الخطرة على مستقبل المشروع الرسالي، وهي لا تقتصر على البعد الفردي فقط، وإنَّما تسري إلى الجماعات والمؤسَّسات وغير ذلك.

لذا إهتم القرآن الكريم إهتماما بالغا في بيان هذا المرض ومدى خطورته وذكر مساوئ أخلاق المنافقين، وبيان كذبهم وخدعهم ودسائسهم والفتن التي تآمروا بها على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل وعلى مشروع الإسلام والمسلمين، وقد تكرَّر ذكرهم في سور قرآنية متعدِّدة منها: سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والانفال، والتوبة ، والعنكبوت، والأحزاب، والفتح، والحديد، والحشر، والمنافقون، والتحريم، وهذا نحو من أنحاء الإهتمام البالغ على البعدين الكمي النوعي، وما ذلك إلّا للتنبيه من خطورة هذا المرض وإنعكاسه بالسَّلب على الوضع المادي والمعنوي للمشروع الإسلامي الرسالي الهادف، بل لعلَّ ظاهرة النفاق في

الجسد الرسالي تشكّل طابورا خامساً يعمل لمصلحة العدو من حيث يعلم، أو لا يعلم.

قال تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[1]، وروى الشَّيخ الصَّدوق في الخصال عن النبي (صلى الله عليه وآله) انَّه قال:(أربع مَنْ كنَّ فيه فهو منافق وإن كانت فيه واحدة منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها مَن إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)[2]

وعنه (صلى الله عليه وآله):(المنافق قوله جميل وفعله الداء الدخيل)[3]، وعنه (صلى الله عليه وآله): (المنافق لسانه يسر وقلبه يضر)[4]

وعن أمير المؤمنين وسيد الموحدين علي بن أبي طالب (عليه السلام) انَّه قال: (أحذّركم أهل النفاق فإنَّهم الضَّالُّون المُضِلُّون والزَّالُّون المُزلّون يتلوَّنون الوانا ويفتنُّون إفتنانا ويعمدونكم بكل عِماد ويرصدونكم بكل مرصاد... قد أعدّوا لكل حقّ باطلا ولكل قائم مائلا ولكل حي قاتلا ولكل باب مفتاحا ولكل ليل مصباحا يتوصَّلون إلى الطمع باليأس ليُقيموا به أسواقهم وينفقوا به أعلاقهم يقولون فيشبِّهون ويصفون فيموِّهون قد هوَّنوا الطريق وأضلعوا

(١) التوبة:٧٧.
(٢) الخصال، ج١، ص ١٨٨
(٣) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٩، ص١١٠، ح٢٠٦٠٧
(٤) المصدر نفسه، ج٩، ص ١١٠، ح ٢٠٦٠٨

المضيق فهم لُمَّة الشيطان وحمَّة النيران أولئك هم حزب الشيطان ألا انَّ حزب الشيطان هم الخاسرون)[1]. ومنه يتَّضح ما صدَّرنا البحث به، وهو المعنى الإصطلاحي.

وهل يمكن أن تتغلغل هذه الظاهرة في المشروع الإسلامي الهادف أفراداً وجماعات؟

والجواب: ولِمَ لا يكون ذلك ؟ ، بل لا يكون ممكنا فحسب، وانّما واقع، والوقوع أدلُّ دليلٍ على الإمكان، فخذ مثلا ذلك المشروع الرسالي الذي قاده النبي (صلى الله عليه وآله)، فإن أصحابه قد تربوا بين يديه بسلوكه وفعله وأقواله ومواعظه، ولكن ذلك الرعيل الأوَّل من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله)، والمسلمين الذين عاشوا معه وسمعوا منه وتربّوا بين يديه قد أُصيبَ البعض منهم بهذا المرض، وأراد ان يعطل المشروع الرسالي الذي يقوده النبي (صلى الله عليه وآله) لولا المدد الإلهي الذي كان حاضرا بحكمة قيادة النبي (صلى الله عليه وآله)، ورعايته لمشروعه، فكيف بمَنْ يبعد عن النبي بأكثر من ألف وأربعمائة سنة؟، فعليه الحذر واليقظة؛ لكيلا تُزرع في مشروعه بذرة النفاق، فتنمو مع مرور الوقت حتى تكبر وتكبر، ويصعب الخلاص منها، وهذا ما يؤكّد خطورة هذا المرض حيث يتولى البعضُ بعضَ المفارق المهمة في المشروع، ويقود المؤسَّسات

(١) نهج البلاغة، ج٣، ص٣٣٣، من خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين .

والجمعيات ونحوها، وهو مصاب بمرض النفاق، وبذلك يمثّلون خطرا حقيقيا إذا لم يُستأصلوا أو يُصلحوا.

ومن هنا على المؤمن الرسالي أن يعلم حقيقة هذا المرض من خلال فهم أوصافه وعلله، وما يؤول إليه، فإذا إبتلى جسد المشروع به حاول صدَّه واستئصاله، ومن قبل ذلك عليه ان يُحصّن نفسه ويبتعد عن كل ما يورث النفاق، ولو بخصلة من خصاله التي سمعناها في حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وإذا فرشنا مائدة القرآن الكريم ليضعنا في أجواء هذا المرض من خلال ما يبيِّنه في آياته المباركة؛ ليكون لنا وقاية وعلاجا، فنلاحظ ما يلي.

أمّا خصائص أهل النفاق، فيقول تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾[1].

(١) النساء: ١٤٢، ١٤٣.

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣)، فلما نعتهم اللهُ لرسوله، وعرَّفه بعض خصالهم السَّيِّئة، وعرَّفهم إليه وإلى عشائرهم، فقالوا لهم قد إفتضحتم، فأتوا نبي الله يستغفر لكم، فلوَّوا رؤوسهم وزهدوا في الإستغفار، وهذا ما تعكسه الآيات الشَّريفة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٤).

---

(١) الحديد:١٣.
(٢) التوبة:٦٨.
(٣) المنافقون:٤.
(٤) المنافقون:٥.

وبعد إتّضاح كلّ ذلك، فلا تخلو ساحة المشروع الرسالي من بعض خصال النفاق، ولو بين فترة وأخرى من فترات نشاطه ونموه، فقد تبرُز بعض مكامن الضعف في النفس، فتوَّلد النفاق، لذا ينبغي مراقبة النفس بدقَّة، وعدم الوثوق بها والركون إليها، وغلق الأبواب التي يحتمل ان تكون موجبة لتوليد هذا المرض وإنَّما ذكر القرآن الكريم قصص وتجارب أهل النفاق ليعطينا حافزا ومنبِّها، لكي لا نقع في نفس ما وقعوا فيه ؛ وحتى لا نكون من أصحاب هذه الآية الشريفة: ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[1] ، وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾[2] ، وقوله تعالى: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴾[3] ، حيث تكون عبادتهم مشوبة بالقلق والإهتزاز، وتتجسَّد فيها روح النفعية والميل إلى السلطة.

(١) التوبة:٩.
(٢) البقرة:١٧٥.
(٣) البقرة:٧٩.

الآفات الأخلاقية التي تبتلي بها النفس البشرية:

قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [1] .

هذه هي طبيعة النفس الإنسانية، فيمكن أن تعرض عليها كلُّ آفة تبعِّدها عن سبيل التقوى، وبذلك تصاب بجملة من الآفات الأخلاقية التي تشوِّش البصيرة وتُفسد العمل، وكلُّ هذا لا ينسجم مع مباني المشروع الرسالي العقائدي الهادف؛ لأنَّه يريد ان يقود الناس إلى الله تبارك وتعالى ويعرِّفهم أحكامه وحلاله وحرامه ويكون هاديا لهم إلى جنَّته ورضوانه.

وآفات النفس كثيرة ومتعدِّدة ومتنوِّعة ربما منها ما لم يُكتشف، وربما منها ما يخادع ويتلوَّن بألوان متعدِّدة، قد رَصَدَها أهلُ الأخلاق، وألّفوا بها الكتب الكثيرة، و وضعوا لكل منها علاجا، وهوعلاجٌ مناسبٌ مستفاد من القرآن الكريم، وروايات أهل البيت (عليهم السلام)، وتجارب أهل الله تبارك وتعالى في هذا الصَّدد، ولا نُريد إستعراض هذه الآفات ها هنا بمجموعها وكثرتها، وإنَّما نُريد الوقوف على اثنين منها فقط:

(١) الشمس:٧-١٠.

الاولى: آفة الغرور والتكبر

فهي آفة مرضية خطيرة يُصاب بها الأفراد والجَّماعات، والإسلام يُحذّرنا من الوقوع في فخ هذه الآفة، ويطلب منا تحصين أنفسنا من الإصابة بها، بل يرسم لنا الطريق للخلاص منها بالتحلي بما يقابلها من التواضع والإخلاص في العمل لله تبارك وتعالى، فندفع به آفة الغرور والتَّكبّر.

والقرآن الكريم يحدِّثنا عن أول حالات الغرور والتكبر التي وقعت في المشروع الرسالي الإلهي حيث كان إبليس (لعنه الله) من فئة الجن الصالح العابد لله تبارك وتعالى قبل أن يخرج عن الطاعة ويرتكب المعصية ويصر عليها، وقد وَرَدَ في روايات أهل البيت (عليهم السلام) أنَّ إبليس كان في مصاف الملائكة، بل أصبح خطيبا لهم، وقد سجد لله سجدة واحدة مدَّتها خمسة آلاف سنة، ولكن بالرغم من كل ذلك، فقد أصابه الغرور والتكبر، وأخذ يعمل بالقياس أمام إرادة الله تبارك وتعالى وأحكامه.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ

﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۞ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۞ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴾[1].

فلمَّا تكبَّر وأصابه الغرور وافتخر على آدم (عليه السلام)؛ لانَّ أصله من نار وآدم أصله من طين وامتنع عن السجود له طغيانا وتمردا، فكان مصيره الطرد والإخراج من ساحة قدس الله تبارك وتعالى مذموما مدحورا خاسئا خائبا، وكذا الأمر بالنسبة إلى قابيل لمَّا تكبر على أخيه الطيِّب هابيل بسبب ما عاناه من أمراض النفس التي خرجت على شكل خصلة خطرة وهي الغرور والتكبر على أخيه.

قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۞ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[2].

(١) الأعراف:١١ـ١٥.

(٢) المائدة:٢٧ ـ ٣٠.

وهكذا قارون حيث خرج ذات يوم على قومه مستعرضا ثرائه وكبريائه وغروره بهذه الدنيا الزائلة والأموال التالفة، قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ۞ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾[1]، وغيرها من القصص والحالات التي يصوِّرها لنا القرآن الكريم للإتّعاظ وأخذ الحيطة والحذر، فالإنسان الرسالي المؤمن الهادف يجب أن يكون على يقظة وحذر من مثل هذه الآفات والإغراءات التي هي كالإغطبوت كلّما قطعت منه ذراعا سارعتْ اخرى للبروز، فيضع هذا المؤمن لنفسه منهجا سويًّا متَّزنا يعيش فيه حياته بعيدا عن الغرور والتكبر وغيرها من الآفات.

وقد تتعدَّى الآفات الأخلاقية من مرحلة الفردية، وتصل إلى إصابات جماعية تصيب المشروع والمؤسَّسة والجماعة وغيرها.

حيث يحدثنا القرآن الكريم عن غزوة حنين التي هي أولى الغزوات التي خاضها المسلمون بعد فتح مكة حيث حباهم الله

(١) القصص:٧٩ـ٨١

تبارك وتعالى بالنصر، ومكَّنهم من الظفر، ودخلوا فاتحين بالمدد الإلهي بعد أن أُخرجوا من مكة مشردين مطرودين خائفين ليس لهم ناصر، ولا معين وكيف أصابهم الغرور، وكاد العدو يقضي عليهم لولا أنّ رسول الله (ﷺ) قد ثبت وأخذ ينادي بأصحابه والتحقَ به مائة، وقيل ثمانون، ثم أَمَرَ عمَّه العباس، وكان جهيرَ الصوت أن ينادي المسلمين بأعلى صوته، وقد أخذ الناس بالإنعطاف ورجع الكثير منهم إلى رسول الله (ﷺ)، وعند ذلك طلب منهم أن يحملوا على العدو، فانهزم المشركون أمامهم، وأتبعهم المسلمون يُقتّلون ويأسرون [1].

قال تعالى: ﴿ .....وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [2].

(١) ينظر: تأريخ اليعقوبي، احمد بن إسحاق: ج٢، ص٦٢، و إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي: ج١، ص٣٨٦، السيرة النبوية، ابن هشام ج٤، ص ٨٦ ـ ٨٧ وغيرها من المصادر

(٢) التوبة:٢٥، ٢٦.

الثانية: آفة الحسد والمكر

لا شكَّ أنَّ الحسد والمكر آفة مرضية خطيرة محلها الأفراد لكن تنعكس من الأفراد على البعد الإجتماعي لجماعاتهم ومؤسَّساتهم ومشروعهم، ولعمري أنَّ هذه الخصلة أليَق ما تكون بأهل الدنيا وأتباع اللذَّات والشَّهوات والمناصب والجاه ممَّن يجد لنفسه مبرِّرا للصّراع على الموقع وعلى المصالح والمكاسب الدنيوية وغير ذلكَ والمفروض أنَّها تكون بعيدة، بل أبعد ما يكون عن أهل المشروع الرسالي الإلهي الهادف ولكن لا أمان للنفس والشّيطان فنكرّر الإلتزام بالحذر واليقظة من الأذرع الكامنة في النفس لئلا ينفتح ذراعا مُعبَّئا بالحسد والمكر فيُصيب صاحبه بالخذلان وينعكس على مشروعه بالإنكسار والخسران.

والقرآن الكريم يُبصّرنا بحقيقة الحسد والمكر منذ أوائل بروزه كظاهرة في حياة الأفراد وكان بطل هذه الظاهرة إبليس (عليه لعائن الله).

قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٢).

(١) طه:١٢٠.

(٢) الأعراف:٢٢.

هكذا طفح هذا الحقد الأسود من قلب إبليس ليصب مكره على آدم (عليه السلام)، ويتوعَّد ذرّيته إلى الوقت المعلوم، وإنَّما ورَّطه بذلك حسدُه من قبل ذلك بمعصية الله تبارك وتعالى وعدم إمتثال أمره في السجود لآدم (عليه السلام) كما تقدَّم في الآيات الشريفة، ولم ينجو من هذه الآفة حتى أولاد الأنبياء.

والقرآن يحدثنا عن قصَّة اخوة يوسف حيث مكروا بأخيهم ورموه في غيابت الجب حينما حسدوه لقربه من أبيهم وحبَّه إليه أكثر منهم.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۞ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۞ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾[1].

ثم فعلوا فعلتهم بمكرهم وحسدهم ويعبِّر القرآن الكريم ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[2].

(١) يوسف:٧ـ١٠.

(٢) يوسف:١٨.

وهكذا قصة قابيل مع أخيه الطيب هابيل حيث قتله للحسد، فمكرَ به وفعل فعلته قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1].

ولم تنتهِ هذه الظاهرة، بل تفشَّت وانتشرت حتى انعكست على الأقوام وعلى الجماعات كما في أقوام اليهود حيث يصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2].

(١) المائدة:٢٧ـ٣٠.

(٢) البقرة:١٠٩.

المبحث الثاني

العلاج والبناء الفردي والجماعي

- **من أين نبدأ العلا ج لهذه الامراض.**
- **آليات العلاج وأدواته.**

ـ الاستعانة بالله تعالى.

ـ تنقية الباطن، والركون الى البصيرة.

ـ إعتماد حالة الوعي، والتعقّل في الامور قبل الإقدام.

ـ إيقاد وهج الموعظة، والاستمرار عليها.

ـ مجاهدة النفس المستمرة، وعدم الركون اليها.

ـ العلاجات الخاصة بكل مرض بحسبه.

- **مطلوبية البناء قبل الهدم**

المبحث الثاني

العلاج والبناء الفردي والجماعي

قلنا فيما مضى من الدروس أنَّ العمل الحركي الرسالي قد يفتح أذرعا كامنة في نفس الإنسان المؤمن الرسالي جراء الإحتكاك والعمل الإجتماعي، فيُبتلى بجملة من الأمراض على مستوى الفرد والجماعات، وذكرنا كذلك انَّ هذا مقتضى طبيعة الإنسان، فأن طبيعة الإنسان الواجد لمجموعة من القوى التي خلقها الله تبارك وتعالى في داخله، وهي في حالة تصارع تقتضي أن تكون هناك ثغرات وأذرع تكمن في النفس تنفتح عليه بين حين وآخر بعنوان أمراض معنوية تعرقل حركته الرسالية قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[1].

مضافا إلى تصارع جنود الرحمن مع جنود الشيطان، وكلّ ذلك في داخل هذه النفس الإنسانية، ليحيا من حيَ عن بيِّنة، ويهلك من هلك عن بيِّنة، وهذا ما يصطلح عليه بالجهاد الأكبر الذي ورد الحث على دخول مضماره والفوز فيه، وانَّه أولى وأهم من الجهاد الأصغر.

(١) الشمس:٧-١٠.

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢).

إنَّ مقتضى القاعدة العقلائية تقول: (إنَّ الوقاية خير من العلاج)، ونحن قبل إستعراض مرحلة العلاج وبناء ما قد هُدم لا بدَّ ان نضع ضابطة للوقاية حتى لا يقع الإنسان في المرض وإلاَّ إذا وقع في المرض حينئذٍ نلجأ إلى العلاج.

وربما يُفهم أن كثيرا من الأحكام الشرعية إنَّما أرادها الشَّارع المقدَّس للوقاية والحفظ، وهكذا جملة من الأخلاقيات التي ربما تركها لا يوقع الناس في الحرام لكنَّها مطلوبة كأخلاقيات لأنها تقي الإنسان من أن يصل إلى درجة يحول حول المحرَّمات فيقع فيها، فالوقاية خير من العلاج بمعنى انَّها متقدِّمة بمرتبة عن العلاج والإنسان الذي يمارس الوقاية لا يحتاج إلى علاج لذلك مَنْ يسلك طرق الوقاية أفضل ممَّن يسلك طرق العلاج.

ومرحلة الوقاية تتكفَّل بعدم الوقوع في الأمراض فيما إذا أخذنا بالوصايا والتوجيهات التي رَسَمَها لنا القرآن الكريم والقادة المعصومون من الأنبياء والرسل والأئمة (عليهم السلام) وقد مرَّ في كلامنا الكثير من هذه الإشارات، فنكتفي بما ذكرناه هناك، وهنا نريد أن نتكلم عن مرحلة العلاج والبناء ويكون ذلك من خلال بيان عدة محاور:.

(١) النازعات:٤٠، ٤١.

(٢) العنكبوت:٦٩.

المحور الأول: من أين نبدأ العلاج لهذه الأمراض؟

يبدأ العلاج بمجموعة خطوات على نحو الترتيب، وهي:

أوَّلا: علينا ان نبحث ونفحص بدقة عن مدى وجود مثل هذه الأمراض في أنفسنا من خلال مصارحة النفس، ومراقبة السلوك، والأداء بدقة، فلا نجامل، ولا نهادن، فإن وجدنا نحواً من هذه الأمراض أشَّرنا عليها، فإنَّ معرفة المرض وتشخيصه نصف العلاج، وهذا لا يقتصر على البعد الفردي فقط، وانَّما كذلك يشمل البعد الإجتماعي، فننظر داخل موسَّساتنا وهيئآتنا ومراكزنا وتجمعاتنا على مختلف المستويات في العمل فنلحظ بدقَّة ونشخّص هل هناك إصابة بمرض أو لا؟

ثانياً: بعدَ التشخيص والوصول إلى نتيجة مفادها وجود إصابة فرديَّة، أو جماعية نحتاج إلى مرحلة اخرى، وهي مرحلة التطويق ؛ أعني تطويق هذه الإصابة وتحديدها بحدود معيَّنة كي لا تكبر وتسري من الفرد إلى الفرد الآخر، وتصير مشكلةً جماعيةً كبيرة، وحينئذٍ يصعب علاجها.

ثالثاً: مرحلة العلاج المباشر للتخلص من الآثار السلبية للمرض شيئا فشيئا حتى نستئصله تماتما، ولا ينبغي العجلة والتَّسرع في ذلك ؛ لكي لا تأتي النتائج سلبية، فإنَّ النفس وأمراضها بحاجة إلى التأني والدقة في العلاج والصَّبر والمطاولة

كي لا تخدعنا وتُرائي لنا غير ما هو واقع وتُقنعنا بزوال المرض وتمامية علاجه، وهو في الحقيقة باقٍ قد كمُن لنا ذراعا خطرا قد يبرز في أيٍّ مواجهة وتحدّي من تحدِّيَّات العمل الرسالي، فيُسقطنا في الهاوية كما حصل مثل ذلك في الحياة الرسالية التي مارسها الأنبياء والرسل (عليهم السلام) مع أقوامهم.

المحور الثاني: ماهي آليات العلاج وأدواته؟

١ـ الإستعانة بالله تبارك وتعالى وطلب المدد منه والإعتراف بالنقص والتَّقصير أمام ساحة قدسه والرجوع والإنابة إليه قال تعالى: ﴿ ..إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾[1] وفي دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام) المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي قوله: (**وأعنِّي على نفسي بما تعين به الصَّالحين على أنفسهم**)، ووَرَدَ كذلك في الدعاء: (**اللهم اهدني من عندك وأفض عليَّ من فضلك، وانشر عليَّ من رحمتك، وانزل عليَّ من بركاتك سُبحانك لا إله إلا انت اغفر لي ذنوبي كلها جميعا**)، ووَرَدَ كذلك في الدعاء: (**اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدا فإن وكلتني إليها تباعدني عن الخير وتقربني إلى الشر أي ربي لا أثقُ إلا برحمتك**)[2].

٢ـ تنقية الباطن والركون إلى البصيرة قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴾[3]، يعني كان على بصيرة في طريقه وهداه وقد نقَّى سريرته وسلك طريقا

(١) هود:٨٨

(٢) مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص٢٠٤

(٣) محمد:١٤.

مستقيما صالحا إلى الله تبارك وتعالى وهذا بحدِّ ذاته كفيل بإزالة الأمراض وعلاجها بل إستئصالها من جذورها.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١).

٣ ـ إعتماد حالة الوعي، والتَّعقّل في الأمور قبل الإقدام، وموازنة الأشياء بميزان العقل الرَّاجح لانَّ العقل يُدرك قبح الأمراض حتى لو كانت معنوية، ولا يقيل سلوك طريقها، وفي نفس الوقت يُدرك العقل حسن الصَّحة والمعافاة من هذه الامراض بسلوك الطريق المؤدِّي إليها، ل ذا نلاحظ في سيرة حياة الأنبياء والرسل والأئمة (عليهم السلام) انَّهم كما ركَّزوا على جانب البصيرة وتصفية الباطن والإخلاص في العمل لله تبارك وتعالى كذلك حثّوا على إستثارة العقول وتحكيمها في المواقف، بل جعلوا ذلك دليلا من أدلة إثبات الصانع.

قال تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ..... ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١).

(١) يوسف:١٠٨.
(٢) إبراهيم:١٠.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ... ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[٣].

٤ـ إيقاد وهج الموعظة والإستمرار عليها، فإنَّ القرآن الكريم فيه دروسٌ ومواعظ تحصّن العاملين، وترسّي فيهم قواعد النجاة والسير الصحيح حال المرور بها والإتّعاظ منها والوعي لما فيها، فإنَّ ما جرى على أقوام الأنبياء والرسل من قبلنا يقصّه القرآن علينا في قصص ملؤها الموعظة والعبرة ويحكي كل ما مرَّ فيهم من خير وشرور وآلام وأفراح وأحزان وأمراض وانتكاسات وعلاج وحلول ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ

---

(١) المائدة:٧٦.
(٢) الأنعام:١٦٤.
(٣) يونس:٣٥.
(٤) الأنعام:١١.
(٥) النمل:٦٩.

يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ (١)

والقرآن الكريم هو يعبر عن نفسه بقوله: ﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى: (﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (٤) .

وهل بعد هذه المواعظ يوجد عذر لمعتذر؟ فمَنْ أخذ بها ونظر وتدبَّر فيها سيجعل وقاية لنفسه من الأمراض، ويقف بسلام بعيد عنها ولذلك كان النبي (صلى الله عليه وآله) يغذّي أصحابه بالموعظة والعبرة في كلِّ مكان يكون هو فيه معهم وفي كل زمان يجتمع فيه معهم وقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) انَّه قال: (**انَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) نَزَلَ بأرض قرعاء فقال لإصحابه: إئتوا بحطب فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب قال:**

(١) غافر:٨٢.
(٢) آل عمران:١٣٨.
(٣) يونس:٥٧.
(٤) هود:١٢٠.

فليأتِ كلُّ إنسان بما قدر عليه، فجاءوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض فقال رسول الله (ﷺ): هكذا تجتمع الذنوب، ثم قال (ﷺ): إياكم والمحقِّرات من الذنوب فإن لكل شي طالبا ألا وانَّ طالبها يكتب ما قدَّموا وآثارهم وكل شي أحصيناه في إمام مبين)[1].

٥ـ مجاهدة النفس المستمرة، وعدم الركون إليها، وحملها على خصال الخير والطاعة والمراقبة الواعية للنوايا كي لا تعود من جديد إلى حالات المرض والسَّقم قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[2]

فلا بدَّ من جهاد شاق مع النفس ليُكبح جماحها ويُمسك زمامها وتنهى عن الهوى والشر والطمع ويزيَّن لها الطاعة والخير عن الإمام الباقر(عليه السلام) انَّه قال: (**لا فضيلة كالجهاد ولا جهاد كمجاهدة الهوى**)[3].

وعن أبي ذر (رض) قال:(قلت لرسول الله (ﷺ) أيُّ الجهاد أفضل ؟ قال (ﷺ): ان يُجاهد الرجل نفسه وهواه)[4]، وعن أمير

---

(١) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني: ج٢، ص٤٢٩، كتاب الإيمان والكفر، باب الإصرار على الذنب.

(٢) العنكبوت:٦٩.

(٣) تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ص٢٨٦، ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ج٢، ص ١٣٧، ح٢٩١١.

(٤)ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، ج٢، ص ١٣٦، ح٢٩٠٤

المؤمنين (عليه السلام) قوله:(جاهد نفسك على إطاعة الله مجاهدة العدو عدوه وغالبها مغالبة الضد ضده فإنَّ أقوى الناس مَنْ قوي على نفسه)[1]، وعن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) انَّه قال: (جاهد نفسك لتردّها عن هواها فإنه واجب عليك كجهاد عدوّك)[2]، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (طوبى لعبدٍ جاهد نفسه وهواه ومَنْ هزم جند هواه ظفر برضا الله ومَنْ جاوز عقله نفسه الأمارة بالسوء بالجهد والإستكانة والخضوع على بساط خدمة الله فقد فازَ فوزا عظيما)[3].

٦ ـ العلاجات الخاصة بكلِّ مرض بحسبه، وقد ذكر أهل القلوب من علماء المعرفة والأخلاق هذه العلاجات في كتبهم الكثيرة، فيحتاج الفرد الرسالي بعد تشخيص المرض وتطويقه والأخذ بما ذكرناه من النقاط المتقدمة ان يلجأ إلى العلاج الخاص الذي يستأصل فيه المرض، ويبني ذاته ونفسه من جديد.

المحور الثالث: مطلوبيَّة البناء قبل الهدم وبعده.

المتأمِّل في منهج القرآن الكريم وآياته المباركة يلاحظ مدى التأكيد على حالة بناء الشخصية الإسلامية الواعية والبصيرة

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٣٧، ح٢٩١٣
(٢) تحف العقول، ابن شعبة الحراني:ص ٣٩٩، و ميزان الحكمة، محمد الريشهري:ج٢، ص٥٩٥، ح٢٧٣٣
(٣) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ج٣، ص٥٣٧

المتماسكة، فإنَّ القرآن الكريم يخاطب الإنسان بعنوان المؤمن، وهذا الوصف يجمع جميع خصال الكمال والخير، ولا يقتصر على الأفراد، بل يشمل بناء الجماعة المؤمنة الصالحة والمجتمع المؤمن الصالح ككل، بل هو المطلوب في نهاية المطاف ؛ لانَّ الفرد الرسالي لا يعيش همَّ نفسه فقط، وإنَّما يطمح أن يبني مجتمعا مؤمنا ويُشارك في بناءه مع بقية المؤمنين وهذا هو عمل الأنبياء والرسل والأئمة (عليهم السلام).

والقرآن الكريم خير شاهد على خطاباتهم وتعاملاتهم مع أقوامهم المؤآلفين لهم، والمخالفين، وسيرة المعصومين (عليهم السلام) بين أيدينا لنلحظ كيف كانوا يعيشون هموم مجتمعهم، ويتألمون لما يجري من حولهم، ويهدفون أن تعيش الناس السعادة والراحة من خلال تحكيم شريعة الله تبارك وتعالى في أرضه، وهذا ما ينتظره الأحرار في العالم من جميع الديَّانات ومن جميع المذاهب، بل من جميع اللغات والقوميَّات والأجناس حيث ينتظر الأحرار في العالم المنقذ الذي يخلِّصهم من جور الظلم والإستبداد، ويبني لهم دولة الحق التي يعيشون فيها بكرامة وعزَّة وسعادة، وحينها سيُبنى المجتمع البناء الصالح الصحيح عندما يأخذ كلُّ مؤمن رسالي دوره الواعي والصحيح بإشراف وتوجيه إمامه الحق الموعود المنتظر (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف)، ليملأ الأرض قسطا وعدلا بعد ما مُلئت ظلما وجورا.

قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (٢).

(١) القصص:٥.

(٢) النور:٥٥.

المحتويات

مقدمة المركز..... ٧

توطئة:..... ١٠

الفائدة من استعراض الأمراض المعنوية ١٣

المبحث الاول..... ١٧

المرض الأول: حبُّ الدُّنيا، والركون إليها، وجعلها الهدف الأسمى للمسير من حيث يعلم أو لا يعلم..... ١٧

المرض الثاني: الخروج والنكوص عن مبادىء المشروع الرسالي، وعدم الوفاء بها. ٢٥

أين موقع أهل العلم من هذا الخروج والنكوص؟ ٣٣

المرض الثالث: حب الزَّعامة والظهور والتَّميُّز:..... ٣٧

مناشيء وأسباب هذا المرض..... ٤٠

المرض الرابع: ظاهرة التَّمرُّد على القيادة، والإجتهاد في العمل قبال توجيهاتها وأوامرها..... ٤٢

المرض الخامس: إتِّباع الهوى والميل إلى الباطل والركون إلى الشهوات..... ٥٢

المرض السادس: التخندقات والتكتلات داخل المشروع الرسالي والمحورية في الإبتعاد عن الهدف. ٦٠

المرض السابع: ضعف الهمم والتقاعس والتكاسل والإتكالية في العمل واليأس والقنوط من تحقيق النتائج. ٦٤

المرض الثامن: القولُ بلا عمل. ٧٦

المرض التاسع: ظاهرة النفاق ٨٦

الآفات الأخلاقية التي تبتلي بها النفس البشرية: ٩٢

الاولى: آفة الغرور والتكبر ٩٣

الثانية: آفة الحسد والمكر ٩٧

المبحث الثاني: العلاج والبناء الفردي والجماعي ١٠٢

المحور الأول: من أين نبدأ العلاج لهذه الأمراض؟ ١٠٤

المحور الثاني: ماهي آليات العلاج وأدواته؟ ١٠٦

المحور الثالث: مطلوبيَّة البناء قبل الهدم وبعده. ١١٢

المحتويات ١١٤